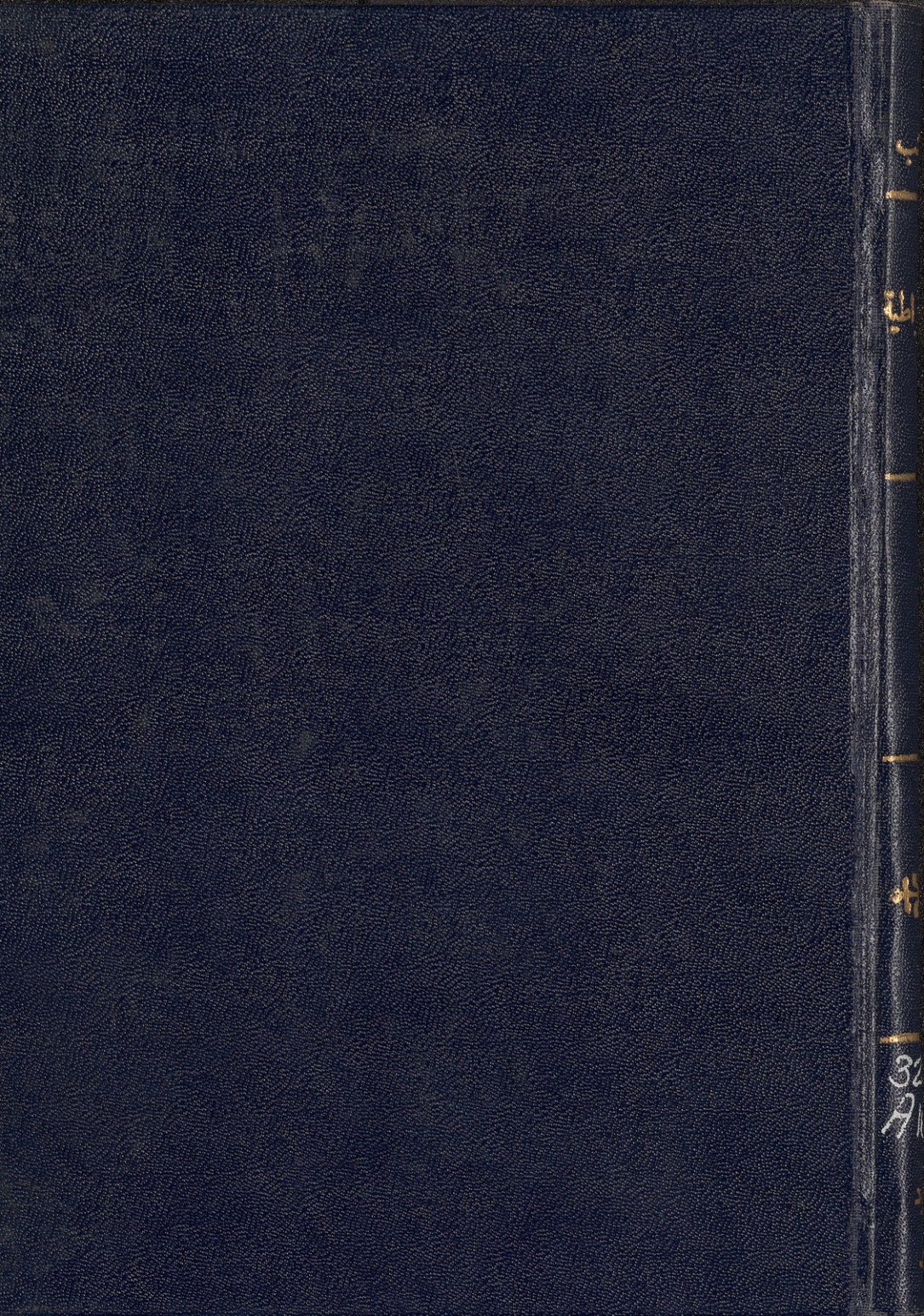
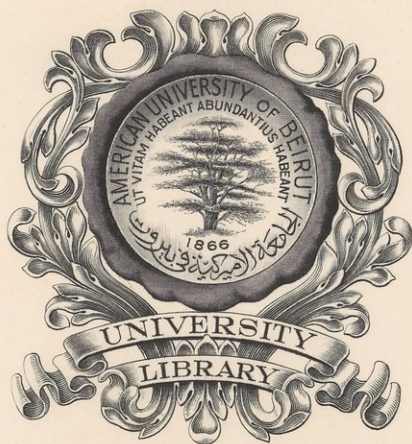
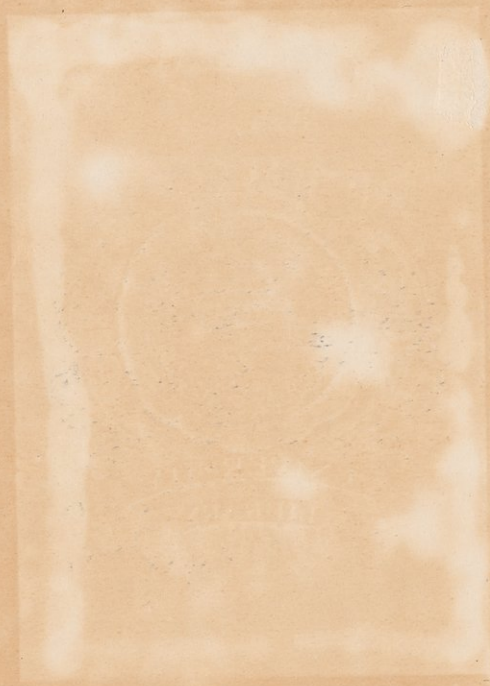




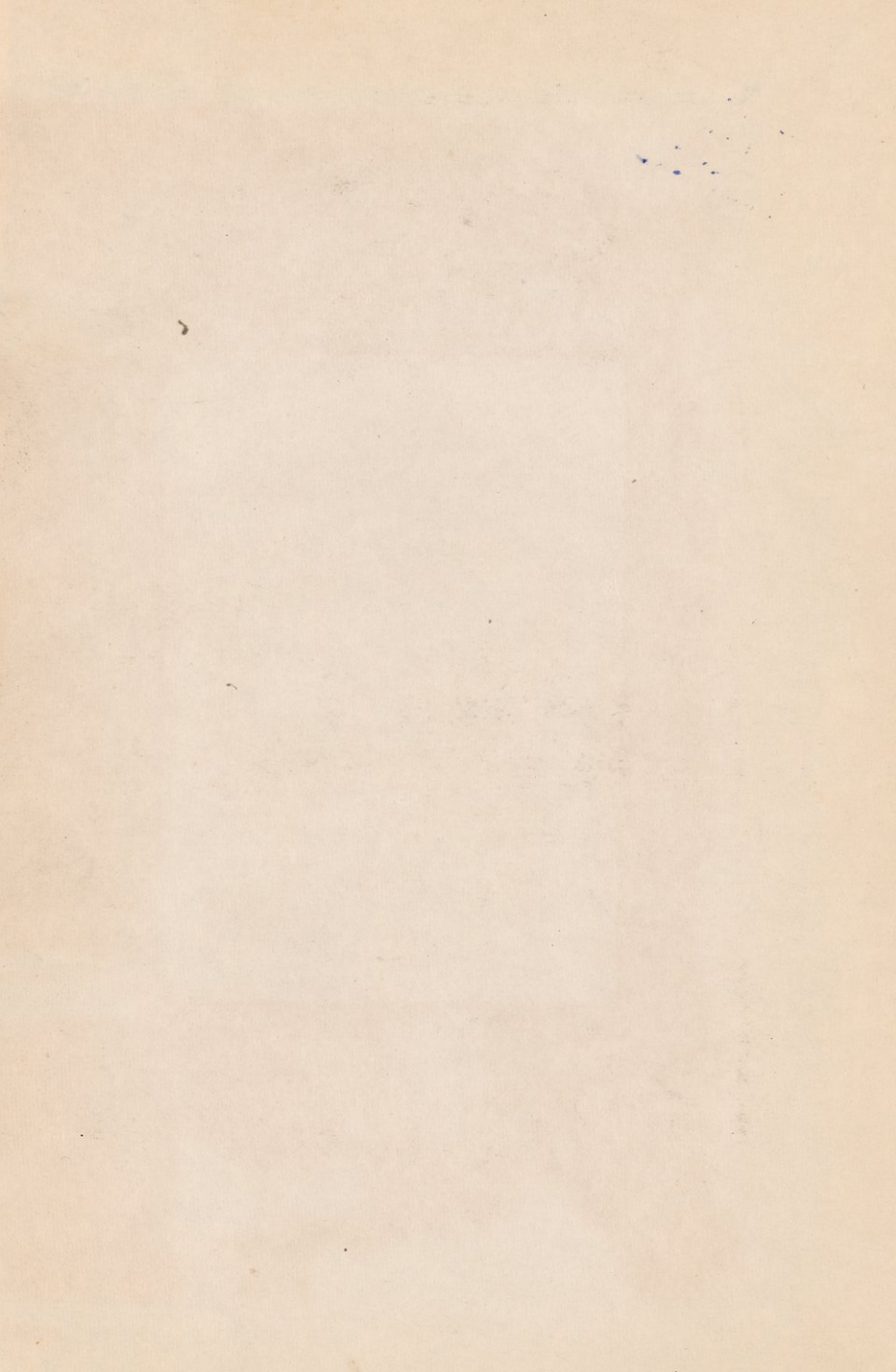
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT





تجليد صالح الدقر

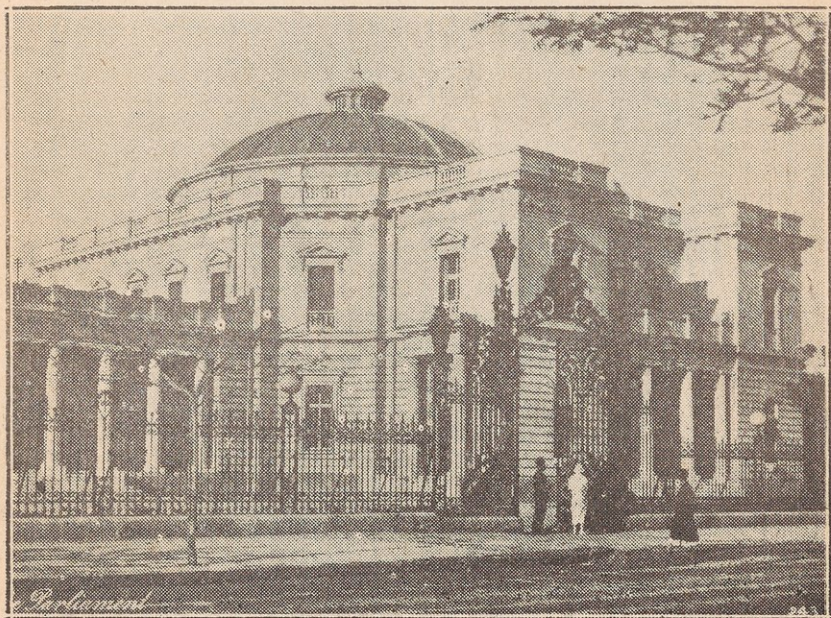
٢٢٩٧٧ تلفون



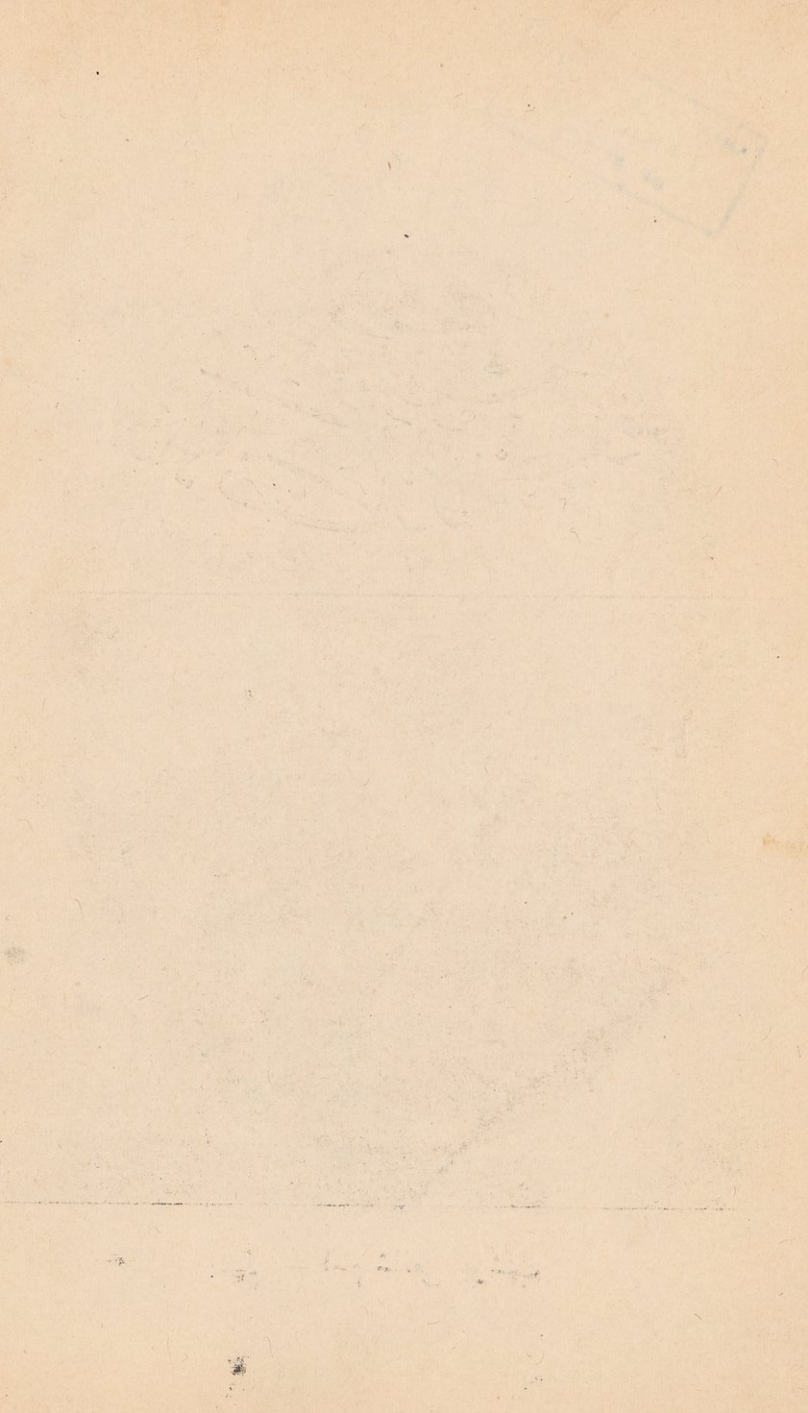
321.8
A16dA

AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

الدور الثاني
من
بين الأنصار والخصومة



بقلم — امام شافعي أبوشنب





حضرة صاحب الجلالة فيناروق الاول ملك مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أنبيائه أجمعين

وبعد : فليس المقصد من هذا البحث تعريف الديمقراطية
تعريفا يتناول شرح أنظمتها ، وتنبأت أفراسها ، وتحديد
نواحيها ، ففي هذا كتب أساطين العلوم السياسية وأساتذة
علم الاجتماع المراجع الوافية ، والفصول الإضافية .

وليس الغرض هو الكلام عن النكبات التي ألمت بالانحائية
من جراء التناحر والتطاحن والصراع والمنازعات الشديدة
القائمة بين أنصار الديمقراطية وأصحاب المذهب الديكتاتوري ،
فلست ذا أعصاب تمكنتني من وصف جو كله إحن ومحن ،
وأنين وتأوهات ، وآلام ومصائب ، وإنني لأؤثر أن أحطم
قلمي ، وأسكب الممداد ، وأمزق القرطاس ، على أن أكون
شاهد عيان لهذه النكبات والويلات ، فاسجل هذه المأساة
التي تستصرخ عدالة الله .

ولإنما الغرض من نشر هذه الرسالة على الشعب المصرى
المجيد هو :

أولا - وصف الجهد الذى بذلته مصر للظفر بمجهر
الدبوقراطية الكريمة حتى أصبحت حصنا من حصونها
بين العالم .

ثانيا - إلقاء ضوء بهذا البحث البرىء على الوجوه
الظهارا للخبث منها والطيب ، وبخاصة فى هذا الظرف الذى
يتعلق البعض فيه الأمة خشيعة الخداعها ، مستمداً مادة البحث
من التاريخ الحديث .

الاهداء

الى روح سعد العظيم زعيم الحركة الاستقلالية المصرية
عملة في أم المصريين صفية زغلول وخليفة سعد مصطفى
النحاس زعيم الملاد ورئيس هيئة الوفد المصري التي دافعت
عن الديمقراطية في مصر دفاعاً لم تلق عليه ، أو تسلم فيه ، حتى
وضعتة عالياً فوق قمة البرلمان .

قال أم المصريين صفية هانم زغلول .

وخليفة سعد الامين مصطفى النحاس .

وهيئة الوفد المصري رمز الوحدة .

أهدى البحث في « الديمقراطية » التي هم رمزها في وادي النيل
وفقنا الله جميعاً لخدمة بلادنا في ظل ورعاية جلالة الملك الصالح
« فاروق الأول » المحبوب أطال الله بقاءه وجعله ذخراً وحصناً
للديمقراطية .

امام شافعي أبوشنب

الحرية

لا بد انك رأيت مراراً عصفير في أقفاص ؟
ألم تلاحظ عليها أنها تقفز بين القضبان أقفزات الاسير ،
وتنوح نواح الحزين ؟

ولا بد انك كثيراً ما رأيت طيوراً تحلق باجتماعها في
الفضاء ، وتغرد في فرح واغتيباط ، وتقفز في خفة ونشاط ؟ .
والطيور التي بين الاقفاص قد خلقها الله من طينة الطيور
التي تحلق في الفضاء !!

فما سر انقباض الطير المعتقل ، ونشاط الطير الذي ينتقل
من غصن الى غصن ومن فنن الى فنن ؟

وما السر في أن الاصوات التي تنبعث من بين الاقفاص
يحدث في النفس الانقباض ، بينما الاخرى تنشرح لها الصدور ؟
يا للعجب ! أالطيور عقول تجعلها تفرق بين مرارة الاسر
ولذة الانطلاق ؟

كلا يا صاحبي . فليست للطيور ولا للساعة والوحوش عقول
تمكنها من التمييز بين حالتي الحبس والانطلاق وإنما سر
الاكتئاب والفرح والحول والنشاط ، والنواح ذى الصوت

الموحش والتغريد بصوات حلوة النبرات ، المر في هذا يرجع إلى سبب طبيعي ، هو أن هذه الحيوانات والطيور لما تنشقت أول نسيم الحياة ، لم تكن بين أقباص مغلقة ، ومحابس محكمة الارتاج ، وإنما كانت إما دلى فروع الدوح وأغصان الاشجار ، أو بين الاحراش والقفار ، فلاعجب ان هي ميزت بين الارادة حينما تكون مقيدة ، وتلك التي لا سلطان لاحد على صاحبها ، تميزا لو كانت تعبر عن أفكارها ، وترجم عن خواطرها لرددت تلك الحكمة الغالية فقالت : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » .

الديموقراطية

الحرية حق من حقوق المخلوقات طرأ ، لانها الأصل في الحياة والتضييق عليها ضعف التجأ اليه الاقوياء الطغاة ، منذ اليوم الذي حملت الأرض فيه أقدام الظالمين .
وكما أن الماء هو الرحيق ، فالحرية هي الديموقراطية بدون اختلاف في المعنى بين الكلمتين .
وهي كلمة نجرى بسهولة على اللسان ، كما يسرى الماء في فم الظالم فيرد اليه الحياة .

ولا يمتد الديموقراطية إلا الذين مازالوا ينظرون إلى نيرهم
من بنى البشر بالعين التي كان ينظر بها أهل الازمنة الغابرة ،
والعصور الدائرة ، إلى من هم دونهم ، أولئك الذين يعتبرون
أنفسهم طبقة العظماء ، ويطلقون على غيرهم طبقة العامة والدناء ،
وهو تعبير لكلماتي (أريستو قراط) أي طبقة العظماء ،
و (ديمو قراط) أي طبقة الشعب .

وهذا الامر أبطله وألغاه تطور المجتمع ، وعمر على أنقاضه
صرح المصاراة في الحقوق بين طبقات الأمة ، لافرق بين حر
وعبد ، وعظيم وحقير .

ولم يأت عفوا هذا التطور الذي نزل بردا وسلاما على
الانسانية لزوال الفروق بين أهل القطر الواحد ، بل كان نتيجة
حروب ونورات خرجت الديموقراطية منها مرفوعة الهامة ،
ومن فرط مرورها بالانتصار ، صنعت أعلاما كثيرة وضعتها
على الجبال ، وفي السهول والنجوع في الأفطار التي اكتسبتها ،
وحققت فيها مبادئها ، فكان انتصارا ، لا ينقص من تمامه ،
بعض ما يحدث في قسم صغير من أقسام الكون من الصراع
الذي لن تكون خاتمته — حتما — إلا تركيز السلطة في يد
المواد الاعظم من الشعب ، ونزعها من يد طاغية تود أن
تمسك الامور حسبما تهوى .

الديموقراطية والاديان

والذين يتصفحون كتب التواريخ التي حوت الكثير مما
ألم بالانسانية من جراء التضييق على الحريات ، وجعل الأمة
الواحدة طبقات عديدة ، لكل طبقة حقوقها التي لا تتعدها ،
وكذلك الذين يتصفحون الكتب المقدسة التي أنزلها الله
- سبحانه وتعالى - على أنبيائه ، ليهدي بها الناس إلى الصراط
المستقيم ، والطريق القويم ، الذين يفعلون هذا يسمون على
التو ، وبدون مناقشة : بأنه لا فرق بين الجهاد في سبيل نشر
الاديان ، والجهاد لكتب جوهر الديموقراطية الذي لا تعادله في
الوجود قيمة ، فما المبادئ التي تقوم عليها الاديان ، وما الأغراض
التي تنشدها ، إلا نفس مبادئ الديموقراطية وأغراضها .

والسر في ان الديموقراطية تأسر القلوب أسرا ينسى الناس
في سبيل الانتصار لها حتى الحياة ، أنها ذات تعاليم معتمولة
وعادلة .

وكفى الناس اقبالا عليها ، وتهافتا على تعاليمها ، انها فتحت
باب الحياة على مصراعيه ليعاوى الناس أجمعون لا فرق بين
كبيرهم وصغيرهم ، ولا غضاضة أن يسير ابن الخلاق ، جنبا

الى جنب ، مع ربيب الجاه والنعمة على طريق واحد ، وكفأها
أنها جعلت المناصب العاليه الخطيرة للاكفاء الخاصين ،
يستوى في التسابق للحصول عليها كل من نقله أرض الوطن ،
وكان ذلك في الازمنة الغابرة قاصرا على طبقة خاصة ، وكفأها
أنها تقصى عن حظ-يرتها الذين يعجزون عن اكتساب ود
مواطنهم كما تنفى الهيبة الاجتماعية عنها المجرمين الذين ليسوا
أهلا لنعمتها .

ويقول الذين درسوا روح المجتمع ، وحللوها تحليلـلا
لم يتركوا فيه شاردة ولا واردة من حركانه وتطوراته
إلا أحصوها ، أوأئكم الذين يستخرجون الحقائق
على صحتها ، يقولون : أنه من الخير للمجتمع أن يأتى
على الناس حين من الدهر تناس فيه أمورهم بالعنف ، وتعرض
فيه شؤونهم للحدور ، وسلامتهم للرعب ويرفع العدل من
الأرض ، وتستباح دماء الناس ، حتى إذا ما انتشرت الزاائل
انتشارا يعم الأرجاء ، حدث رد الفعل الذى يبدد الظلمات ،

« ان الحرية بخدمها أنهارها وأعداؤها على السماء »

سعد زغلول

وبجعل الامور تسير سيرتها الاولى الطبيعية .

ووجه الخير في هذا ، أن الافراد لا تتذوق حلاوة العدالة الا اذا ذاق مرارة الظلم ، ولا نحس بالسلام ونقدر قيمته الا اذا عاشت في جو الفتن والتفائل ، فالاشياء لا تتميز الا بأضدادها .

ومن تقدير الناس لهذه الامور فتولد فيهم روح الحرص والتمسك بأهداب العدالة والسلام .

ولا خرابة في هذا فما سارت العدالة الا في اثر الظلم ، وما كان الاصلاح الا عقب الفساد ، ولا تقف المصادن وزالت عنها الاصداء الا بعد صهرها .

وليس هذا هو كل الخير الذي يكتسبه المجتمع من مثل هذه الاوقات العصيبة ، وانما هناك ما هو خير منه . . . هناك العبرة والعظة ، فاذا ما علم الناس أن الظالم مأخوذ بظلمه ، وان عليه لعنة من في الارض والسموات ، تمسكوا بتلابيب الفضيلة ونأوا عن أسباب الرزية ، وتمايقوا في ضرب المثل العليا في كل مرافق الحياة .

الديموقراطية معشوقة من الناس طرا ، لان أساسها احترام رأي الجماعة ، وترجيحه على رأي الفرد ، لان الجماعة قل أن

تخطيء أما الفرد فيكنير الخطأ ، ولأن اجماع الجماعة لا يكون
الا بالتشاور ، والتشاور ينتج أصوب الآراء وأنفعها
وأجداها نفعا.

وليس مذهب « ترجيح رأى الجماعة على رأى الفرد » قد
استمدته الديمقراطية من انتاج العقول والقرائح ، وإنما
أخذته من الاديان التي حنت كلها على العمل به في أمورنا
الدينية ، ذلك المذهب الذي ورد بوضوح في الدين الاسلامي
الحنيف ، فرغبنا في تكوين وخلق الجماعة ، وأمرنا بالاختيار
مما يجد القاريء الكثير من هذا الترغيب في القرآن الشريف
والاحاديث النبوية والحكم التي جرت على ألسنة الصحابة
والمجاهدين - رضي الله عنهم -

وقد قيل في هذا « يد الله مع الجماعة » و « من استقل
برأيه هلك » و « لاندُم من استشار » و « الموت مع الجماعة
رحمة » وما الى هذه الحكم التي تدلك على أن الاديان ما حدثت
على تكوين وخلق الجماعة ، وترجيح رأيها على رأى
الفرد ، إلا للابتعاد بسفينة الانسانية عن صخرة المهالك التي
تعرض لها بفعل استقلال الفرد برأيه .

ان الديموقراطية أو الحياة الدستورية ، التى يرميها
الاعداء بالافلاس ، وبانها قائمة على الجدل والنقاش ،
والتقاليد المضىعة للوقت ، ان هذه الحياة التى لن تضيرها هذه
المطاعن المزعومة ، هى الشورى التى اختارها الحق جل جلاله
للحكم فى أمور الناس الدينية والدنيوية :

أجل ان الحياة الدستورية فى لغة السياسة ؛ هى الشورى
التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم أكثر من مرة فى مواضع
مختلفة .

فاذا كان الله قد اختار لعباده من أنواع الحكم الاخذ بالشورى ،
وإذا كان جات قدرته قد أمر نبيه الكريم أن يشاور أمته
فى الامر ، وان الامر شورى بين المسلمين ، فكيف يلجأ
المستبدون الى أنواع أخرى من الحكم ليس فيها ضمانا للحرية
ولا كفالة للعدالة ؟

أهؤلاء أكثر تقديرا للامور ، ووزنا لها من الانبياء
والرسل - صلوات الله عليهم أجمعين - الذين أمروا بالشورى وهم
الذين لا ينطقون عن الهوى وانما بلسان القدرة الالهية التى
لا وصف له ؟؟؟

حقا ان حجج هؤلاء المستبدين فى محاولتهم الانتقاص من

قيمة الشورى حجج واهية القصد منها فقط تبرير مهمهم من
التكالب والتهافت على الجاه الكاذب والمناصب المنخفضة !!
عظمة الشعوب الديمقراطية

تجد بعض شعوب الارض ، محكومة بطغاة يبرمون الامور ،
ومستبدن يبتون في المسائل دون أن يكون للسواد الاعظم
في نظرهم أية قيمة ، كأنه قطيع من الاغنام ، لذلك هم يخطون
فيما يبرمون ويبتون !!

وتجد ، في ناحية أخرى ، شعوبا لا تستطيع ، حتى ملوكهم ،
التدخل في أى من الامور بدون استشارة السواد الاعظم
الممثل بواسطة نوابه في مجالس الشورى القائمة .

ولكى تعرف أن الديمقراطية تعز أنصارها ، نقول لك أن
الاقطار الاولى ، المحكومة حكما دكتاتوريا تتعثر دائما في
خطواتها ، ومبتلاة بالازمات المالية الآخذة بالخنق ، ومصابة
بالتيارات الخفية التي تتفاعل تحت سطح مجتمعاتها تفاعلا
يؤذن بالانقلابات ، وأما الشعوب التي تتمسك باهداف
الديموقراطية وتعمل بمبادئها القوية تجدها تخطو على سبيل
معبدة ، وطرق ممهدة ، وفي حالة من اليسر المادي ، والهدوء
الاجتماعي ، تدفعها دائما إلى المضي ، بخطرات واسعة نحو المدنية

وهل من الناس من يجهل أن العظمة التي تقمصت بريطانيا
فجعلتها « بريطانيا العظمى » لم تأتِها إلا من طريق حرص
الشعب الانجليزي الناهض على حماية التقاليد الدستورية
وسهره على سلامة النظم البرلمانية ، حماية وسهرها لعباد دورا
هاما في تحلي « دوق وندسور » عن لقب « ملك إنجلترا
وامبراطور الهند والممتلكات الواقعة فيما وراء البحار »
ومبايعة غيره طبقا لقانون وراثته العرش الذي يقدهه الشعب
الانجليزي العظيم تقديس المسلم لكتابه الكريم ، والمسيحي
لأنجيله المقدس ، وكل ذي كتاب منزل لكتابه ، لانه عرش رُضعت
الديموقراطية من ثديه أفويق الالبان الدسمة ؟

ولم يأخذ الشعب الانجليزي تاج بريطانيا العظمى من فوق
رأس ادوارد الثامن ، ليضعه على رأس « جورج السادس »
للمنع والحيولة بين تلك الزيجات التي ليست لها سابقة من التقاليد
الملكية الانجليزية فقط ، وإنما لخروج الدوق وندسور ، وقت
أن كان ملكا ، على التقاليد البرلمانية ، وتداخله المستمر عمالا
يتفق مع التقاليد والقواعد والنظم الدستورية المعمول بها في
تلك الامبراطورية ، تلك التقاليد التي تعتبر السبب في بقاء إنجلترا
م — ٢ — الديموقراطية

طول هذه القرون كالطود الشامخ يهزأ بمر الدهور وكر العصور،
 ويسخر بالعواصف التي تهب عليه لتزبل فقط ما علق به من أوصاخ
 وتجلو مراثيه للنظارين ، لالتفت من رسوخه وتنال من صموده .
 وليست بريطانيا العظمى هي الامة الوحيدة التي اكتسبتها
 الديموقراطية هذه المكافاة المعدومة النظير بين شعوب الارض
 الحالية ، فكم من شعوب كان لها من السلطان ما يزيد على سلطان
 انجلترا الآن ، ولم يزل إلا حين اتبع الحكام شهوات
 النفوس ، وظلموا الرعية ، وتحلوا عن حكم الشورى ، وحكموا
 بامرهم ، فكان هذا سببا للضعف بعد القوة والذل بعد العز .

* * *

ولما كان الشيء يقوم بقيمته ، فقد غدا مهر الديموقراطية
 من المهور الغالية ، أغلى من تلك التي يبذلها الفرد للحصول على
 عروس جميل !!

ان الانسان كثيرا ما يقف عند حد محدود في دفع المهور ،
 ولكنه يبذل بمخاء للحصول على الديموقراطية ، ليس المال
 فقط ، وإنما الحياة أيضا ، بل يبذل فلذة الاكباد ، التي هي أغلى
 مما في هذا الكون من متاع .

ألم تقرأ أن أحد القواد الاسبان لما اعتقل ولده ، وطلبوا إلى
 هذا الولد ، ان يخاطب أباه تلفونيا ويفهمه بأنه رهينة تسليم

الحصن ، فان لم يسلمه في ظرف أربعة وعشرين ساعة سيعدم
الابن رميا بالرصاص ، فما كان من الوالد إلا أن رد على ابنه بقوله
« وماذا عليك لو استشهدت ؟ »

قليلون هم الذين يبذلون المال بمخاض للظفر بغادة هيفاء ،
ولسكن الذين استشهدوا للدفاع عن الديموقراطية كثيرون !

مصر والديموقراطية

ومن الاشياء التي يجدر بكل مصرى أن يفخر بها ، ان مصر
لن تقل عن غيرها من امم الارض في تقديم القرابين
للديموقراطية ، تدعيا لصروحها وتقوية لحصونها ، فلقد بذلت
باسراف مهجاء عزيمة وأرواحاً غالية ، وضربت رقما يعتبر بالقياس
لحدثة عهدا بالديموقراطية ، رقما تستطيع به أن تبرز شعوبا
لم يحز نير الاستعباد رقبتهما .

وهاهي أيضا على استعداد للبذل والاتفاق وشن الحروب
على أعداء الديموقراطية إلى أن تصبح مكانتها في هذه البلاد
وطيدة الاركان ، شامخة البنيان ، راسخة القدم ، أكثر من رسوخ
اهراماتها اللواتي تصمد لتقلبات الدهور ، وأفاعيل القرون
كما يصمد الجمل القرن الوعل .

أجل ان مصر قامت ، فى سبيل نشر مبادئ الديموقراطية ،
بجهود جعلتها ، بجدارة ، احدى معاول الديموقراطية فى
الكون ، وليس يحدك عن هذا فى صدق ، غير استعراض
الحوادث التى وقعت على أديم هذا الوادى فى العهد الاخير .

ففى سبيل الاستقلال والدستور ، وما الى ذلك من
الكلمات المرادفة للديموقراطية ، فى هذا السبيل تنافس
الكثيرون من المصريين ليكتبوا بدمائهم الغالية الذكية ،
وثيقة الحرية ، تلك الدماء التى استكملت استقلالنا شكلا
وموضوعا وحقت سلطة الامة .

حقا لقد تنافس الكثيرون من المصريين تحقيقا لمبدأ
« النام » ، وفكرة جليظة ، وقصد نبيل ، هو : « الاستقلال
النام » . فكنت ترى ، فى غضون الثورة الاستقلالية
المباركة ، ان حماسة الشيوخ فى الاندفاع الى ساحات
المجد أشد من حماسة الشباب ، وكانت الرؤوس تطيح
عن الاجسام بدون أن يحدث هذا الموت أى حزن لى
أقارب المستشهدين وأصدقائهم ، اذ كان الجار وقد سمع بمصرع
جاره ، والصديق وقد نعى اليه صديقه ، والاخ ولم يوار
جثة أخيه بعد ، بل الوالد وقد خيم فى فليذة كبده ، كان كل

أولئك لا نرهبهم المجيئة في أعزائهم ، بل كانت بمثابة التيار الذي ينشط القوى ، ويحرك الهمم ، ويشد العزائم ويدفعهم إلى الساحة التي على أديمها انفصلت رؤوس أعزائهم عن الرقاب قبلا ، وكانوا على أديمها المخضب كامواج البحر في الظهور على سطح الماء ، المتأخرة أشد عزمًا من المتقدمة .

وكان ضعيف الجسم يزأر كالليت فيأخذك العجب لهذه القوة الجبارة التي تقمصت فجأة ، ذلك الجسم الهزيل ، وكان الشيخ المتهدم تفارقه شيخوخته وتحمل محلها فتوة لا تقل في البأس والعزم عن فتوة الشباب وعزمه .

وإذا بحثت عن المصدر الذي كان يستمد منه الشهداء القوة والجرأة على الاندفاع إلى الموت ، تلك القوة التي حطمت سلاسل الرق والعبودية ، وقضت على التفرقة بين طبقات الأمة ، لعثرت عليه بسرعة ولا انتضح لك أن روح العصر الحاضر هو السر في الانتصار الذي نالته مصر ، وفي البقعة التي ستمطل الحيل على العابثين بحقوقها .

القائد

وقد قبض في مصر على عنان الثورة ، فادار شؤونها بحزم ، شيخ وان كانت حكمة الشيوخ متغلبة عليه ، إلا أن تلك

الشيخوخة كانت أُنذر على الجُرأة من نزع الشـباب وطيش
الفتوة .



ولا عجب في هذا فكم
سجل التاريخ للشيخوخة من
آيات الوطنية ، ومن جلائل
الاعمال والمآثر ، ما لم يستطع
الشباب تمجيد لا تقسيم ،
ولا غروفا الشيخوخة الا جمعة
التجارب ، وخاتمة مطاف
الانسان في هذه الحياة ، وما
مثل صاحبها الا كمثل المتحول
في الكون لا مستكشف ما فيه
من العناصر التي يتألف منها
الجوهرى النافع من التجارب
والاختبارات التي تجعل الشيخوخة
كصحيحة سجل عليها الزمان
ما ينفع الانسان .

سـعد زغلول
قائد الثورة الاستقلالية المصرية
وزعيم الشرق

ولقد ثبت للكثيرين جدا من علماء النفس ، والبحاث في تواريخ
الامم ، أن حب الوطن في قلوب الشيخوخة أمكن وأشد مما

هو في قلوب الشبان أو الكهول ، وان نسبة الشيوخ ه ادق
الوطنية من مجموع الامة ، أكثر من نسبة من هم دونهم في
العمر ، وانه قد ظهر كثيرون من الخطباء الشيوخ من كان على
شيخوخته وهرمه ، إذا هم لالقاء خطبة فلا يهمه إلا بلاده
وخيرها .

أجل ان الاختبارات التي يجمعها الشيوخ الحافلة بالكثير
من العظات والعبر ، والتقاليد والعجائب ، والامور المنبهات
للعقول ، كل هذه الاشياء تجعل الشيخ الصادق الوطنية
لا يبحث الا على المثل الاعلى ، كما أنها كالنيران التي تخلص
سبك وطنية قومه ، وتمحص معدنها ، وتنزهها عن الشوائب ؛
كما تنزه الذهب الخام مما يعلق به من الاوساخ .

ولذلك الشيخ اصم له في قلوب قومه — إذا استثنينا
الذين في قلوبهم مرض — منزلة خفية لا يمكن للعين ان تراها .
أنتستطيع ان تحدد منازل الحب أو البغض ، والغيرة
أو الحسد ، والخوف أو البطولة ، في جسم الانسان ولو استعنت
بأكبر المجهرات ؟ ؟

فكما أنك لا تستطيع أن تحدد مكان هذه الاشياء في
أجسامنا لانها من المنازل الروحية ، فانت كذلك لا تستطيع

ان تعين مكان الشيء الذى كان يجعل أبناء مصر ينادون
صائحين « بحيا سعد » لان منزلته فى الاجسام كانت منزلة
روحية .

هذا الشيخ ، ذو الاسم المحرى هو « سعد زغلول » .
فما أحلى الاسم الذى كان وسيكون هدى ونورا للمصريين ،
ومرجعاً يرجع اليه الزعماء الوفديين فى مصر ، وغيرهم فى
سائر الاقطار ، إذا ما ادلهم الجو ، وتراكت على أمدهم
الكروب وتزاحمت الخطوب .

سعد زغلول ؟

ياله من اسم عظيم يقف أمامه المؤرخ باهتمام مشدود هامكبراً
قبل أن يكتب عنه حرفاً ، ومما لاشك فيه ان أول كلمة
سيكتبها المؤرخون فى سجل هذا الزعيم ستكون : العظمة .
.. والعظمة لله ولا تقدير لعظمته .

ومما لاشك فيه ان نسلنا وعقبنا الذين سيمتدولون على رقعة
الوادي بعدنا سيذكرون الزعيم بالخير كلما أحسوا بنعمة الحرية ،
وسيتهممون خطاه ، كلما حزبهم الضيق ، وسيلعنون خصومه
الذين كانوا يناوئونه وبطلقون فيه الالسن البذيئة .

حقا ان عظمة الرجل كانت قريبة في صفاتها ، فذة في
مادتها ، منقطعة النظير بالقياس إلى غيرها .

في كثير من الاوقات ترى الفتور يدب بين الزوج وزوجه ،
والاب وابنه ، والشقيق وشقيقه ؛ مع أن هؤلاء صلتهم ببعض
صلة وثيقة .

ولكن السنوات التي أدار فيها سعد دولاب النهضة أثبتت
أن صلته بملايين هذه الامة كالعروة الوثقى لا انفصام لها ،
بصرف النظر عن أقويل معارضية فيه فبناء الاحكام ليس على
شواذ الامور .

أجل لقد كان سعد في الامة المصرية ، كالرأس في جسم
الانسان ؛ فالاجماع على حبه كان تاما ، والتعلق بمبادئه شيء
لائق له ، واطاعة أوامره لا خروج عليها ، الامر الذي جعل
مصر تميز سائر الاقطار في تقديمها للزمامة تقديمًا طبيعيًا غير
صناعي .

وكان في هذا الاتحاد الاجتماعي غرابة ، موضوعها : ان
السنوات التي سبقت الثورة لعبت فيها . أصبح التفرقة فشقت
الشعب إلى مسلم وقبطي ، ودامت هذه الحالة المحزنة مدة ،

نحمد الله على أنها لم تكن طويلة ، وعلى ان علاجها تولاها سعد ،
الذى كان له من المقدرة فى حل العقد ما لا يستطيع غيره مجاراته فيها
فما أسرع ما أصبحت مصر معسكراً واحداً يحقق عليه علماء
الاسلام والنصرانيه ؛ أو الصليب والهلال ، فكنت ترى المساجد
والكنائس ، فى إبان الثورة ، مفتحة الأبواب للداخلين ، وظهر
مبدأ « الدين لله والمصرية للجميع » وجاء من بين إخواننا
الاقباط من قال « الوطنية ديننا والاستقلال حياتنا ».

فما أحلى تلك الذكريات ، وما ألذها ، وسقائك الله غينا
من الجنة أبتها السنين التى كانت فيها المعابد فى مصر أشبه
بسوق عكاظ لدى العرب ، يؤمها الناس على تباين معتقداتهم
ليعرضوا فيها ، لاثمرات القرائح ومنتجات الافكار والعقول
وإنما مشحذات الهمم ، الدافعات إلى الردى ، فكنت أسمع من
فوق المنابر « اتركونا أحراراً فلقد صممنا على الانحيا أرقاء »
و « فى ميدان المجد متمم للجميع » « ولقد مضى زمن الطفولة
وولى وقت القطامة » وما الى هذه من الدرر النارية الوطنية التى
كان سعد يهز بامناها أو نار القلوب هزاً ، ويضرب بها على
المشاعر ضرباً ، تلك الدرر التى تخضبت الارض بفعلها ، وكتبنا
بها كلنى الحرية والمساواة على أديم مصر

امم له فعل المحر ، وشخصية لها منا كل اكبار ، وكلمة مقدسة مكانها في القلوب وبين الضلوع ، يذكرها المصري بالترحم وبخشوع .

عظمة لم ترهبها الاساطيل ولم تخفها القوى العديدة التي تألبت عليها ، وتضافرت للنيل منها .

قال لخصومه الاقوياء وقد طلبوا اليه ألا يشتغل بقضية الحرية وإلا فالنقى عقاباً له « ليس اغبر الأمة على سلطانا والقوة ان تفعل بنا ما تشاء أفرادا وجماعات . . » .

وقال أيضا : « هل أعلنت أنجلترا الحرب على مصر أيها اللورد ؟ »

قالها بتمكم لما دخل اللورد اللنبي دار رئاسة مجلس الوزراء بحيله ورجله ليحلم سعدا الانذار الذي جاء عقب مصرع السير لي ستاك ، تلك الجريمة التي تبرأت منها مصر .

وقال أيضا « نحن - وزراء فيجب أخذ آرائنا » وفي

أثناء تفوهه بهذه العبارة ضرب بيده على المائدة التي اجتمع حولها مجلس المنظار الذي كان منعقدا تحت رئاسة حضر صاحب السمو الخديوي السابق وبحضور مستر دانلوب الذي كان يود البت في مما ألتهم تحز رضاء سعد .

فمن غير سعد تباع به الجراة فيفضل مايطه وسيشل . وماهى ،
 وجبل طارق على ألا يشتغل بقضية الحرية !!
 حقا لقد كتب سعد بجرائده صحيفة رجولته ، وبأمانته
 سجل زعامته ، وبجهوده استقلال أمته .
 هذا هو سعد الذى قال فيه سقواء العقيدة سفهاء الرأى
 قولاً لم يتورعوا فيه عن اتهامه بما ليس فيه .
 هذا هو سعد نصير حرية الرأى ، بل الحارس على الحريات
 جميعها فى مصر .

هذا هو نقى السيرة ، نقى المريرة ، الذى لم تنجب
 الديوقراطية ابناً مثله منذ اليوم الذى تنقل فيه الشعور الوطنى
 فى النفوس .

هذا هو سعد ! وهذا هو سجل حياته ، فما أشهى على نفس
 الكاتب أن يقاب هذه الصفحات النقية ليقف على الاصول
 القويمة ، والجزوع المكيمة التى تتكون منها شجرة الزمامة .

الملك

وفى با كورة جهاد معمر ، وفى غضون الفترة التى كانت ترتفع
 فيها الاصوات بحياة الوطن وحرية الرأى ، بل فى الوقت الذى
 تيقظت فيه البلاد وتنبهت ، فطالبت بمحقوقها ، فى ذلك الوقت

المبارك رزق المغفور له الملك الراحل بولود سميد ، معاه
« الفاروق » .

ولقد تفاعل المصريون جميعا بهذه التسمية المباركة ،
وابتهلوا الى المولى جل وعلا أن يكون للامير السعيد ، أعمال
سميه العظيم عمر بن الخطاب - رضوان الله عليه - الذي يعتبر
بحق موجد الديموقراطية ومؤسسها في الاقطار الواسعة التي
فتحت في عهده الذهبي .

وكان أبواب السماء كانت مفتحة ، فقبل الله سبحانه وتعالى ،
ابتهالاتنا ، وحقق سؤلنا ، فأخذ الفاروق - أدام الله سداد
خطواته الاصلاحية - يكبر ويتنقل في مراحل عمره السعيد مع
الديموقراطية في مصر ، خطوة بخطوة ، فبينما كان جلالته في
المهد ، كانت الديموقراطية في دور النشوء ، وحتى اذا ما باشر
بنفسه أعمال الملك كانت الديموقراطية قد اكتمل نضجها
وتغلغت في نفوس أبناء النيل كما تغلغل جذوع شجرة في
تربة خصبة طيبة فلا يمكن اقتلاعها .

والديموقراطية التي كانت أولى صفات عمر - رضى الله عنه -
أصبحت من أجل صفات الفاروق - حفظه الله وأبد ملكه ،
وقد يكون الكلام عن الديموقراطية بدون الإشارة الى

ما جبل عليه مليكننا المحبوب من تمسكه الشديد بها ، وذكر
طرف من أخبارها ، في عصرها الذهبي في صدر الاسلام ،
خصوصا وجلالته - حفظه الله - ككثير الشغف بأصول
الدين الخفيف القويم ، قد يكون الكلام عنها بدون أن
نذكر صفات الفاروق ، ونلمح بكانتها في أيام العرب الذهبية ،
غير مؤد الى ما نرمي اليه من استخلاص العبرة والعظة ، وليس
ما ينفع الشعوب ، وينمى بها عن الخطوب والكروب ، الا أن
تنتفع من غلطات السابقين بالحيدة عن تلك الغلطات ، وتبتع
خطوات المتوفقين لتصل الى الكمال في الحياة .

كانت العرب في وقت مفاخرتها بالانساب والاحساب ،
وانقسامها الى عظيم وحقيير ، ومعايرة القبائل بعضها البعض ،
كانت بضعة قبائل ضاربة في الفياق والقفار ، لا يحس بها العالم
ولا يتكلم عنها التاريخ ، ذات سلطان محدود ، وتقوذ كاد
يكون في شبه الجزيرة فقط ، منقسمة على نفسها مغلوطة على
أمرها ، تعبد الاصنام ، وتؤبد الاجسام ، وظل هذا أمرها
حتى جاء محمد بن عبدالله ، خاتم النبيين وامام المرسلين ، بنور
الهداية والرسالة الاسلامية ، التي نهت تعاليمها ، ضمن ما نهت
عليه ، من التعاليم الدينية المقدسة ، على زوال التفرقة وأمرت

بالمعروف ، ونهت عن المنكر ، وطالبت الآفات التي تهدد الهيئة الاجتماعية الآن بكلمة واحدة « وفي أموالهم حق معلوم للامائل والمحروم » . وألزمت الحاكم بأن يشاور محكوميه ، وجعلت الكريم والمحسب والمنصب هو التقى ، والعالي هو المتواضع ، وما إلى هذه من التعاليم الديموقراطية التي رفعت العرب الى منزلة ومكانة في الناحيتين ، الاجتماعية والسياسية ، لم يتبوأها شعب من قبلهم . تلك التعاليم الديموقراطية ، التي تستشعر قيمتها من مراجعتك لميرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الاربعة - رضوان الله عليهم أجمعين - ومن جاء بعدهم من الملوك الصالحين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعجمي على عربي الا بالقوى » وقال أيضا : « أنا جد كل تقى » .

وقال عمر : « أنا أميرهم ما دمت في طاعة الله » ردأ على أحد مندوبي ملوك الافرنج عما اذا كان هو عمر أمير المؤمنين ؟ وقال أيضا « إن رأيتم في اعوجاج آفقوموه » فاجابه أحد السامعين « لورأيناه فيك يا أمير المؤمنين لقومناه بسيوفنا ! » وكان رضى الله عنه يتكلم في حقوق النساء قبل الرجال

فردت عليه امرأة وصححت له كلامه فقـال « اخطأ عمر
وأصابت امرأة »

والتاريخ الاسلامى حافل بمثل هذه الامور التى تعتبر
السبب الجوهرى الذى جعل من العرب أمة بلغت مكانة فى العلوم
والمعارف لم تبلغها أمة من قبلهم لتمسكهم بالعدالة والشورى .
واليك نوعا من العدالة البريئة التى لا تعرف المحاباة والنعيم
وإنما تعرف وجه الله فقط :

ضرب عبد الله بن عمرو بن العاص مصريا ، لما كان همرا
واليا على مصر من قبل عمر بن الخطاب وتغاضى عمرو عن سماع
شكوى المعتدى عليه ، الامر الذى اضطر المصرى إلى اللجوء
إلى ساحة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فاهتم بالشكوى وأرسل
فى طلب الوالى وابنه ، ولما مثلا بين يديه ، سأل عمر ولد عمرو ،
وقال له : لم ضربت هذا ؟

فلم يجر جوابا . . . غير أن المصرى أجاب عنه قائلا :
كان يضربنى يا أمير المؤمنين ويقول : أنا ابن الاكرمين ،
فأخذ أمير المؤمنين الدرة (١) من يد عبد الله بن عمرو ، وأعطاهما
للمصرى وقال له : اضرب ابن الاكرمين .

(١) الدرة : الحوطة الصغير .

والتفت عمر الى عمرو وقال له :

« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ »

وتربى الفاروق - حفظه الله - تربية اسلامية متينة ، وثقافة
تنقيها ديفيا مكيناً ، وألم بكثير من العلوم العصرية والتاريخية
المأما واسعاً ، فلا عجب ان قلنا ان هذا العصر سيكون عصر
مطبوعاً بطابع العصور العربية التي ازدهرت فيها العلوم
والمعارف ، وبوت الامبراطورية العربية فيه سائر الاقطار
الاخرى في كثير من الصناعات ، فاخذوها عنها ، كما أخذوا
الكثير من العلوم الفلسفية وغيرها .

ولا نكون الامقرين للحقائق إذا قلنا : ان سبب الضعف
والوهن ومال الى هذه من لامراض التي تفتك بالاقطار الشرقية
هو الحيدة عن الاخذ بالشورى

سقى - اللهم - الشورى في هذا العهد شراً بارحيقاً ،
وجعلها رائد جلالته في حكمه السعيد المديد ، باذن الله ليكون
هذا برداً وسلاماً على قلوب المصريين .

م - ٣ الديموقراطية

عنى علماء النفس فيما كتبوه فى بحوثهم القيمة النفيسة ،
استقصاء الأسباب التى تكون عظمة الرجال ، وتبنى مجدهم ،
ففسبواها الى عدة أمور ، أجملها ذكر ان بذرة حب الوطن
التي تكون مستقرة فى قلوب طاهري الاعراق ، شرفاء النفوس ،
كبار القلوب من الثمانيان ، لا بد اذا وقاها الله شر جرائم العدوى
الاخلاقية التي تنتقل من احتكاك الافراد ببعضهم ، الاحتكاك
الذي يتنقل بالمخالطة فى دور العلم ، والمتطلبات الرياضية وغيرها ،
واذا حصنت ضد سموم المدنية الكاذبة ، لا بد أن تنمو وترعرع
حتى تصير شجرة وارفة الافنان ، ممتدة الظلال ، عند بلوغ
أصحابها سن نضوج الرجولة أو الكهولة ، وتؤتى من الاكل
والثمار ما يغذى نفوس الذراري والاعقاب والقرون .

وخليفة سعد ، أو مصطفى النحاس ، تربي في بيئته خالية
من عناصر الاغراء ، ودوافع الاهواء ، وقنع في سن الطفولة
بحياة الريف التي لا تدعو الا لزيارة المساجد في الاوقات الخمس ،
واللعب البريء في فضاء القرية ، والسير في الحقول طلبا للنزهة .
وكان أسلوب حياته فى المدن ، فى وقت العمل الدراسي أسلوبا
بسيطاً يخرج من المدرسة إلى غرفة نومه فى الاحياء .

خليفة سعد



خضرة صاحب المقام الرفيع

مصطفى النحاس باشا

رئيس لوفد المصري

المتشابهة الحياة بالقرية ، لا يعرف غشيان المنتديات ، وهو
 المدن ، والقاهرة في منتصف الليل ، لأنه كان يقدر أن سبب
 انتقاله من القرية إلى المدينة ، هو تحصيل العلوم فقط ، وكذلك
 كانت حياته بعد أن تخرج من كلية الحقوق لا تختلف عن حياة
 الطفولة والشباب ، بل هي منذ الطفولة إلى الكهولة أشبه
 بالسلسلة المرتبطة الحلقات ، ولهذا فقد وقى الله وطنيته ثم
 الماديات النفعيات ، لوجوده في جو لا أثر فيه لهذه الخبائث .
 وهذا هو سر انضمام اسمه إلى الاسماء الخالدة ، ليتحدث
 عنه أهل هذا العصر ، إذا ذكرت العفة والامانة ، أو إذا دار
 حديثهم على الصلابة في الحق ، والشدة في القيام بامور الوكالة
 بدرجة يكون فيها أشد حرصا من موكله على حقوقه .
 وكذلك لتحدث عنه الأجيال القادمة التي لم تزل نطقاً
 مستكنة في بطون الأمهات أحاديث غير مفرضة .

بدأ العمل في حياته بالدفاع في القضايا الفردية ، وفي طلب
 العدالة للمظلومين ، ثم بالحكم بين الناس ، فتعلم صناعة الدفاع
 والبحث عن العدالة ، ورد الحقوق إلى ذويها .

ولما دق ناقوس الثورة ، للمطالبة بحق الأمة المغتصب
 وحرىاتها المضمومة ، وقع صوت الناقوس في أذنه كما تقع

تلاوة آيات القرآن في آذان العباد فانجذب الى الحركة ، واختلط
بصفوف المجاهدين ، وأخذ يصيح بحياة الوطن مع الصائحين
ويكبر باسم الله ومصر مع المكبرين ، وكنيرا ما أم بالناس في
الجهاد في حياة زعيم الجهاد ، فأحسن الامامة ، وأدى الامانة ،
واكتوى بنار الاستبداد ضمن من اكتووا بنيرانها فما أحرقتهم
بل شجعتهم ، وحفدت همته ، فجعلته نارا على منار .

وان أنت وضعته تحت البحث والتحليل ، لكي تجعل له
حسنااته ، وتدون عيوبه ، لتراكت أمامك فضائل كثيرة .
تود الواحدة منها أن يكون لها شرف الاسبقية في التسجيل ،
والاولوية في الحصر والتدوين .

ان أخذت «الصدق» لتجعله فاتحة كتاب سجله ، عارضك
«الاخلاص» محتجا ؟ وقال لك : أنا الاولى بأن أكون أول
كلمة تكتب في كتاب الرجل ، وليدت لك «الامانة»
ولاطت برأسها «عفة اليد» ولا قسم عليك بالله «الجلد في
الجهاد» ولصرخت «العقيدة المشيدة على الايمان الثابت»
فتمتع في حيرة ، لا تستطيع فيها أن تختار أية فضيلة لتجعلها
أول كلمة تكتب في صحيفة تاريخه ، تلك الفضائل التي تكفي
واحدة منها منفردة أن تشيد عظمة الرجل ، فما بالك اذا

اجتمعت كلها واشتركت في تكوينه ؟ ؟

حقا ان عظمة النحاس من النوع الذى يتقصر أجسام الرجال ، عن طريق تمثيلهم لفكرة حقّة ، وعقيدة خازت عناصر ذبوعها ، ووسائل انتشارها ، وحقا لو كان مصطفى النحاس ، من الاصناف الذين يظهرون فوق سطح المجتمع ، وليدوا مزودون بالمناعة التى تلقحهم بها المبادئ والافكار ضد الانذار لما بقى الآن على سطحه ، ولا كان ظهوره عليه كالزبد .

أليس اذن بقاؤه حائزا لنقة إجماعية دليل على صلاحيته « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » أجل ان بقاؤه على سطح المجتمع أنصح دليل وأسطع برهان على هذا . وان السر في تغلبه على محاولى هدمه ، وفى خروجه سليما معافى من المؤامرات التى تدبرت له ، والنيل منه ، هو أنه لما كان يرق بين صفوف أعدائه ، لم تكن سواعد جسمه هى التى كانت تقسح له الطريق ، وتلكم مريدى الشر به ، انترهين له ، لـ كجأت آذتهم وآلمتهم ، وانما كانت سواعد الجماعة ، ويد الله مع الجماعة .

أجل ان سواعد الملايين العديدة هى التى كانت تظهر له

الطريق من الاعداء ! بدليل ان الحرب ، التي ذكى نيرانها
خصوم الامة ، فما حرقنا إلا أجسامهم ، كانت تكفى للقضاء
على آلاف الرجال ، لا للقضاء على مصطفى النحاس .

لم يكن الخصوم يحاربون النحاس ، وانما كانوا ، ولاذالوا ،
يحاربون «فكرة» والفكرة اذا كانت ذات قصد نبيل ، مؤسسة
على غرض سام جليل ، غدت روحية وكتب لها الانتصار منذ
اليوم الذي تولد فيه ، وتدخل في رؤوس معتنقيها ، ولهذا فقد
خرج الرجل من المعمعة ، وسيخرج منها في كل الحروب ،
كما يخرج الليث من منازلة حيوان ضعيف .

كيف يجوز التغلب على الافكار وقهر المبادئ ، الا اذا
جاز شروق الشمس من المغرب وغروبها في المشرق حتى نستطيع
أن نبرقيا المخصومة بين «الفكرة» وأضدادها ؟؟

ولكن ما الحيلة في المكابرة التي كثيرا ما تودى بأصحابها
الى الردى ، وتدفع بهم الى التهلكة ، وهي التي أبعدتهم
عن رحمة الله ، وأفزات على رأس أبي لب اللعين الابدية ،
وأسكنته في الدرك الاسفل من النار ، وأصلته سعيرا .
ألم تدفع المكابرة أبا جهل في آخر لحظة من لحظات حياته

الى الكفر فقال لعبد الله بن مسعود وهو يلفظ النفس الاخير
« بلغ محمداً أتى أول الكافرين به » . الامر الذي أضحك الرسول
فقال « ان فرعونى أشد عداوة من فرعون موسى ؟ » ..

يقولون « فى معرض مكابراتهم » ان زمامة مصطفى النحاس
« مرحلة طارئة من مراحل الزمامة . كان الحكم فيها لضرورات
التشكيل والتنظيم ، لا لوحى الامة ، أو بديهة الروح القومى
التي تهدى بغير تحضير أو تمهيد » بدون أن يؤيدوا أقوالهم
ببرهان أو دليل ! !

ولمحت أود أن أدخل مع هؤلاء المكابرين فى نقاش ومماثلة
لأعجز أعنى التدليل واقامة البراهين ، فالادلة والبراهين حاضرة .
وليس يجوز فى الاذهان شئ

إذا احتاج الفهار الى دليل

انما غرضى هو أن أحيلهم الى ما كتب فى زمامة النحاس
قبلاً ، رداً على تخرصاتهم الحالية ، أحيلهم الى ما كتبوه ليصفعون
أنفسهم بانفسهم . تنزيهاً لا يديننا من هذه الوجوه التي لا تعمل
فيها صفع الاكف وضرب العصا ، أولئك المراءون الذين حينما
ينفقون فلن يقبض الموت أرواحهم بيديه وانما كما قال المتنبي :

لا يقبض الموت روحا من نفوسهم

الا وفي يده من تنتمها عود

لانهم عبيد أرقاء وقد بما قالوا في بعضهم هذا القول الذي
ننزه أنفسنا عن التقوه به .

وبعد أن نحيلهم الى ما كتبوه في زعامة النحاس في الأوقات
التي كانوا يروا الاشياء فيها على حقيقتها ، بعد هذا نسأل القارىء .
ما هو خير محك للمعرفة ان كانت « زعامة النحاس بناء على
وحي الامة والروح القومى » ؟

أليس خير محك هو أن الزعيم خرج من كل الحروب التي
أعلنوها ضده مرفوع الهامة وخرج منها أعداؤه مهدورى
الكرامة ؟

ثم أليس خير محك أيضا لمعرفة ان كانت « زعامة النحاس
مرحلة طارئة من مراحل الزعامة ، كان الحكم فيها لضرورات
التشكيل والتنظيم » هو أن الامة لم تفتر حرارة ثقته به ، ولم
تحب نيرانها وإنما هي ، كلما قدم العهد على زعامته كلما ازدادت
ثقة به ، وحباً له ، وتعلقاً بالمبادئ الكريمة التي يمثلها ، تلك
المبادئ التي يدور حول محورها بقاء مصر وسيادتها ؟

ان خير محك يظهر معادن الزعامة على حقيقتها هو ثقة الامم

برجالها ، ولم يبد من الامة المصرية الكريمة إلا ثقة برطامة
النحاس تستلنى ثقة ، وحباً يتجدد فى كل مناسبة من المناسبات
التي يجيد فيها الزعيم الحرص على حقوق البلد ، ومن ثقة
الامم وحبها لابنائها المخلصين تتكون أنقى الزطامات معدنا ،
فما لا شك فيه ان الحب والعطف والحنو من عمل القلوب ،
وكل زعامة تكون عناصرها الاشياء الروحية هى بنت الالهام ،
لان اساسها رضاء الناس ، ورضاء الناس من رضاء الله والسنة
الخلق أقلام الحق .

فان هى مواضع التجريح ونواحي الضعف فى عظمة الزعيم ؟
ان كنتم تدعون أن لكم أبصارا تكشفون بها الخافى على الناس
فقد كذبتم ، ويكفى لظهار كذبكم ، بل خبئكم ، يكفى لظهار
هذا ، انكم بأنفسكم ، كتبتم فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٤ فى
جريدة البلاغ ترجحون كفاءة النحاس على كفاءة زعيم
الاحرار الدستوريين اذ ذاك ، رئيس محكمة النقض والابرار
السابق . ؟

ارجعوا الى ما كتبتموه تحت عنوان « افلاس الاحرار
الدستوريين » ، فى التاريخ المشار اليه ، لتروا انكم مكابرون
مأجورون .

يا قوم :

ان الياىى باللس حبلى ، وسفلقى بوما مافى ميدان كسب
الثقة ورضاء الشعب ، فاستعدوا للظمة الامة ، وهاتحن فستعد
للظفر بالنيابة ، وقديما قال فيكم المغفور له الزعيم الراحل
« لكم العباب ولنا مقاعدالنواب »

أجل ان الياىى باللس حبلى فاف وضعت ، وجاءت
الانتخابات ، عاجلا كان مجيئها أم آجلا ، فميتولى المستقبل
بالنيابة عنا ، الودعليكم !

الوفدية

قلنا ان سر بقاء مصطقى النحاس على سطح المجتمع ، يهزأ
بصبيانيات خصومه ، ومناوءات ألدائه ، دون أن يتأثر بهذه
الصبيانيات والمناوءات هو تمثيله لفكرة سامية جليلة ، وهيئات
أن تنطفىء نور الافكار والمبادئ ، وهيئات ان يكتب
الانذار للذين يمثلونها !

والفكرة التى يمثلها الزعيم ، والى كتبت لاسمه الخلود
هى « الوفدية » ، أى المبادئ التى آمن بها المصريون منذ

اندلاع السنة النورية ، تلك الفكرة التي تعهد بها زعيم الوفد
الحاق - سعد - وعمل الوفد على تحقيقها بعده ، ولم يشذ
عن اعتناقها ويتخلف عن تقديمها في دورى الزعامة ، الا الذين
عز عليهم ان يكون مصدر حظهم في الحياة العامة ، والمناصب
الرفيعة ، هو رضاء السواد الاعظم عنهم .

أجل ان سبب بقاء مصطفى على سطح المجتمع هو نفس
سبب بقاء سعد عليه ، وهذا السبب هو تمثيلهما للشركة الحامية
النييلة وهى استقلال مصر التام .

بقى الزعمان فوق سطحه غير آبهين بالزلازل الصناعية ،
بل كانا يضحكان منها ولا ينزعجان ، وكيف يتسرب الجزع
اليهما والامة باسمها كانت تسندهما ؟

أما احتمر سعد الموت ، وأوصى الهيئة التي كانت تتشرف
بزعامته ، والمصريين جميعا ، بان يهمدوا في الدفاع عن القضية
من بعده ، وأن يتمموا ما بدأه كما جاء في خطابه التاريخى الذى
انقاه في الاسكندرية عقب عودته من مفاوضات ماكدونالد

أما قال النحاس في احدى خطبه لخصوم الامة « ان كنتم
في حاجة الى اعناقنا ، فانا نبيع لكم ان تشبعوا تقوسكم من
لحومنا ، وان تبردوا غليلمكم من دماننا ، ان كان ذلك سيكون
ثمنا لاستقلالنا ؟ » وقال :

«سياسى هي سياحة الامة ، ومبادئ هي مبادئ الشعب»
فما معنى تخوفها من الزلازل المصطنعة والزواجم المفتعلة ،
وما كان الغرض منها سوى ابعادها عن شؤون الحركة ، وأمور
النهضة حتى لا تنتشر مبادئ الديمقراطية فيكون حظ
مثيرها في الحياة معلقا في خيوط رضاء السواد الاعظم .

ماخاف سعد ، وما ارتعد خليفة ، لانهما كانا بعلمان يقينا ،
ان الامم لن تتخلى عن خدامها ، وانها ستلقى السهام المصوبة
اليهم لتردها الى صـ دور مصوبيها ، فللامة قضية تحميها ،
وحقوق تدافع عنها ، وتذب عن حياضها .

عز على خصوم الديمقراطية ، ألا يكون لهم ، بعد بقطة
الامة من الامر شيء ، فعملوا على مناوأة من كان سببا في
يقظتها حتى لا تترك تقاليد العصر الغابر دكا ، وهي التي يستمدون
منها الجاه والمنصب !!

فماذا يفعلون ليستبقوا مراكزهم ، ولتكون المناصب
في مصر وقفسا على من يجرى في عروقهم ، بالتوارث ، دم
الارستوقراطية ؟

لا طريق لهم لارجاع دورة الفلك الدائر غير القضاء على
الروح « الوفدية » فكان مثلهم في هذه المحاولة الفاشلة مثل
الذي يحاول ان يملك يد الزمن ليمنعها عن تزريق ورقة الامس
الدابر ، وفي هذا ما فيه من تمرد على سنن العمران والنواميس
النافذة التي قضت بتداول الايام بين الناس ، « ونلك الايام
نداولها بين الناس »

أعلنوا الحرب على سعد ، ورموه بما لم يرمه به الانجليز ،
فكم قالوا فيه ماقالوا من اللغو والهراء ، وكم صوروا غيرته
البريئة ، في جهاده الذي أراد بها وجه الوطن وتثبيت القواعد
الدستورية ، تصويرا معكوسا ، وكم أتهموه بأنه يسعى الى
تنصيب نفسه حاكما بأمره في عصر ، وكم ، كما يستطيع الانسان
الرجوع اليه بمهولة ، ان اراد حصر امثال هذه التهم المزعومة
التي تكذبها الآن رقدة المغفور له في رياض قبره وليس في كفنه
الطاهر حقوقا دستورية استبقاها لنفسه ، اللهم ! إلا كتاب عمله
الشريف البريء « وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ، ونخرج
له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، اقرأ كتابك كفى بنفسك
اليوم عليك حميلا »

وها أنت تراهم اليوم بعد انتقال سعد من الدار الاولى الى

المكانة التي أعدت للصالحين ، يدبرون « الاسطوانة » ذاتها ،
تلك التي ستدار دائماً كلما زين لهم الشيطان القضاء على الفكرة ،
لان هذه الشرذمة التي هانت بينها الوطنية هذا الهوان لن تفيء
الى الحق وترجع الى الصواب ، مادامت سنة الله في خلقه أن
يكون بين الناس تفاوت في الطباع والاخلاق « ولن تجد
لسنة الله تبديلاً »

الوفدية

كلمة بسيطة في نطقها ، سهلة في تركيب حروفها ، ولكنها
عظيمة في معانيها كبيرة في قوتها كثيرة في أعوانها ، وكفاها
عظمة وكبرا وكثرة ومجداً ، أنها فكرة رسخت في النفوس ،
وجاشت بها الصدور ، ونازلتها مصادر عديدة نزالا كان النصر
فيه حليفها !

الوفدية : شعلة لا تنطفئ في الصدور طالما كانت القلوب
عامرة بالايان الوطني .

الوفدية : هي الضمان الوحيد لبقاء الحكم في مصر طبقاً للتقاليد
البرلمانية والقواعد الدستورية .

الوفدية : هي الديمقراطية المعتمدة على مبادئ السلام الداخلي
التي يطعن اليها الافراد والجماعات ، ولا يخشى كائن من كان ،

في جوها على حقوقه ، فالحرية في ظلها مكفولة .

الوفدية : تدعو الشعب الى العمل ، واحراز قصب المبق في كل مرافق الحياة ونواحيها ، ويصبح في جوها طائر العدالة في انفضاء بدون ان يكون عليه حسيب ورقيب .

أرأيت قاض صار نقله لانه لم ينطق الا بالعدل ؟

الوفدية : تأتي الى الحكم من طريقه الطبيعي أي طريق الامة .

أرأيت الوفد تربع في دمت الاحكام وتقلد مناصب الدولة عن طريق تعطيل أبي القانون — الدستور — أو مسخ قانون الانتخابات وحصل على أغلبية كاذبة مزيفة عن طريق الغش؟؟ .

الوفدية : تستنكر أمثال حوادث التعذيب التي وقعت في عهد الاستبداد في مصر . تلك الحوادث التي لو وضعت في كفة لرجحت المظالم التي عرفت لها الانسانية في عشرة قرون؟؟ وهل يقوم العمران إلا على أساس العدالة البريئة والهدوء التام ؟

الوفدية : تدعو الى النظام ، وتمتق الفوضى والفتن

أرأيت في أيامها فوضى كالفوضى التي سجلتها احكام محكمة الجنايات ، من أمثال الخازي والمأمي والفتن التي وقعت في

عهد الطغيان ، تلك الفوضى التي تدلّك على بشاعتها حادثة
الجندى الذي انتهر فرصة الانتخابات الزائفة وأطلق عباراً
فارياً على خصم له وهو واقف في الصلاة بين يدي الله ، بحجة
ان القنيل لم ينفذ الاوامر ! ويتوجه الى مقر اللجنة الانتخابية !
وهي جناية من الجنايات العديدة التي وقعت العدالة أمامها
مكتوفة الايدي مكمة الافواه لا تستطيع أن تأخذ المجرم
بجرمه إلا بعد زوال عهد الطغيان ؟ .

لم يجر أيامها انتهاك حرمة المنازل ، ولا ارتكبت في عهودها
جرائم خلقية ضد الطبيعة ، ولا قصت شعور الناس بمقص
الدواب ، وجرهم الجند على الاحوال والاقذار جرأ يستنزل
اللغة على الذين هانت الانسانية بينهم هذا الهوان !

لم نر في عهد الوزارات الوفدية الاطلاق الحرية للجميع ،
والعمل بمبدأ مسؤولية الموظف الصغير أمام رئيسه ، وهذا
الرئيس امام الوزير التابع له ، والوزير امام البرلمان ، وهذا
المبدأ الذي يرجع بالامور ، صغيرها وكبيرها ، للامة مصدر
السلطات ! ذلك المبدأ الذي تتكون منه العناصر التي تشجع
الشعب على المضى في طريق العمل المنتج ، اذ مما لاشك فيه ،
م ٤ — الديمقراطية

ان العائق الوحيد الذي يحك بتلابيب الشعوب ويعرقل خطواتها عن السير فوق دروب الاصلاح الداخلى والخارجى هو الافتقار الى الطمأنينة ، فما وسائل الاصلاح وعناصر الاجادة والانتقان الا الهدوء والاستقرار .

يقول الذين لفظتهم الامة ، كابلغظ الانسان من فيه فاسد الطعام ، أوائم الذين كان لهم فى « الوفدية » رأيكاسفهموا به آراء أصدقائهم الحاليين ، تسفيها لا يستطيعون الآن محوه من كتب التاريخ ويسفهمون به رأيهم الآن ، يقولون :

« لارفدية اليوم ، وانه اذا فشل الوفد فماذا فى فشله من الهزيمة للقضية الوطنية ، أو من الهزيمة لمصر والمصريين » فهل تحسب انك إذا نقلت قصائد مديحهم فى « الوفدية » واطرائهم لها ، وتصويرهم إياها « بأنها فكرة وطنية حقة وعقيدة دستورية سليمة ، وان محارلة القضاء عليها محاولة فاشلة » ومالى هذا الاطراء والمدح الخافلة بهما أكثر الصحف التى حرروا فيها فى العهود القريبة ، أتحسب انهم سيوارون وجوههم بأ كفهم خجلا ؟ .

إن هؤلاء الذين يقولون اليوم « انه لا يضير الامة فشل

ولن يضرها ان تفصل الهيئة اعضاء منها ، اذا المدار على الامة ،
في الحكم على من هم اجدر بتمثيل الفكرة من غيرهم لانها تستطيع
الحكم على الاشياء بدقة اسم مما يستطيعه هؤلاء الذين يحكمون
عليها بعين الاغراض والاهواء ، اذ المسائل مسائلها والامور
أمورها ، لا مسائل وأمور المتذمرين !!

ثم أليس بقاء هيئة الوفد المصرى الحالية بعد ان فصلت من
فصلتهم من الاعضاء ، وبعد ان انفصل البعض عنها بطوعه
واختياره ، جائزة لثقة الامة ، دليلا على صلاحية هذه الهيئة
دون غيرها ؟

هذه أولى حججهم ، بل ابرز براهينهم ، على « فشل الوفدية »
فهل يدل هذا على ما ذهبوا اليه من اتهام الوفديين بالافلاس ،
أو هو صريح في اظهارهم بمظهر المتخبط في الراى ؟

أجل ان القوم ، اذ يأخذون هذا الامر على « الوفدية »
قد برهنوا على انهم يتخبطون ، كما يتخبطهم الشيطان من
المس « وانهم يفتنون ، حتى على احكام الدهر ، ويحاولون
هدم سليقة العمران التى جعلت البقاء للاصلاح ، وعلى حكم
الشرع الذى جوز التضحية ببعض لسلامة الكل !! .

* * *

براهين قوية ، و حجج سليمة تدل على ان « الوفدية » مبادئ
تدعو الى الخير العام .

والمعائب « المزعومة » التي يأخذونها على افلاس « الوفدية »
أولاها أن هيئة الوفد المصرى تميل الآن ، فى امورها
الحزبية الداخلية ميلا ديكى اتوريا ، وتسرف فى فصل الاعضاء
عنها امرافاً ضاراً .

ولمت اريد الدخول فى مناقشات ومساجلات فى هذا العدد ،
الا فيما له اتصال بموضوع هذا البحث ، ولذلك فانى اكتفى
بالحالتهم ليقراءون ما كتبوه بتوقيعهم وقت التمهيد لتأليف
الوزارة القومية ليروا انهم كانوا من المحبذين الداعين الى فصل
حضرات الاعضاء السبعة وان هذا الدليل الذى يعوقه اليوم
لاقامة الحجة على « افلاس الوفدية » دليل على انهم يحاولون
به ، استغلال الشعب النابه الفطن .

ماذا يضير الوفد لو فصل عنه أعضاء ، أو لو انفصل بعضهم
عنه مادام الميدان متسع للجميع ، وللو فديين المنصولين الحق
فى الاحتكام للإمامة ، فان كتب لهم البقاء فسيكون بقاؤهم
دليلاً على صلاحيتهم ، فما البقاء الا للاصلاح ؟

لن يضير « الوفدية » ان يفصل أعضاء عن الهيئة التى تمثلها

أجل ليست « الوفدية » ذات تعاليم تبرر تقييد حرية
الرأى والتصديق عليها ، وإنما هي فقط ، تمحصر على أن يكون
النقد بريئاً ، وأن يقوم الجدل والنقاش ، لا على قاعدة تعكير
الجو وإثارة الفتن ، وإنما على قاعدة التعاون ، تحصيلاً للخير العام ،
فكما أن الديموقراطية قد حنت على إفساح المجال للنقد ، فإنها
قد ألزمت ، بل وضعت في عنق الهيمنة التنفيذية أمانة هي : حماية
المجتمع من الآفات الضارة الخبيثة التي يقترفها ذوو الأقاليم
المستهترة التي لا تتورع عن التشهير بالناس تشهيراً يؤدي إلى
الفتنة .

ولاجل التوفيق بين إباحة النقد ، وبين حماية المجتمع من
الشروع ، وحتى لا يسيء الجهال استعمال حريةهم في القول
والنشر فيؤذون غيرهم ، للتوفيق بين هذا وذاك ، تلجأ كل
الحكومات العريقة في الديموقراطية إلى التشريع وسن القوانين
التي تكفل ، على أتم وجه ، قيام النقد على قاعدة لا تضر
بالمجتمع من الأضرار الجسيمة ، لأن القاعدة :

« إذا اعتبرنا الضغط على الحرية والحد منها ، سيئات لا تغتفر ،

فمن الكبائر أن تطاق الحرية إطلاقاً على نحو لا ضمان للغير فيه

على حقوقهم »

وثانى الادلة «البارزة !» التى يأخذونها دليلا على «افلاس
الوفدية» هو ان النحاس باسلا يتسع صدره لحرية الرأى ، وأنه
لذلك قد سعى الى تقييدها ، والحد منها ، وما الى هذه من
سواقط الكلام ومبطلات العبارات

حقاً أن الانسان ليعتب ، ويلقى العنت مع المستبدين
بآرائهم وأرائكم الذين لا يملكون من الحجج الا النهوش الذى
يفسد عليك منطقك ! ! .

لاضبط على الحرية فى هذا العصر ؛ بل وفى كل الازمنة
التي يرفرف على الوادى فيها العلم عن البرهان ، فلكل مصرى
الحق فى التعبير عن رأيه بكافة انواع التعبير ، سواء بالنشر فى
الصحف ، أو القول من فوق المنابر والتصوير بكافة أنواعه ،
وما الى هذه الحقوق التى نص عليها دستور البلاد ، والتى لم
تقف الهيبة الحاكمة ، يوما ما ، للحيلولة بين أفراد الشعب
وهذه الحقوق ، لان الوفدية ايمت ذات تعاليم رجعية
تدفعها الى التذمر من الرأى فهى القوامة على الحريات جميعها
والحراسة عليها ، وتعلم ان النقد كالمصباح الدرى الذى يكشف
مواطن الضعف فى القضايا القومية ، ويظهر نواحي الخلل فى
المسائل العامة .

البريطانية والفرنسية والأمريكية من قديم الزمن !
ان مصر لم تجتهد في الفقه الدستوري ؛ ولم تسن سنناً
حديثه ، وإنما ترسمت خطوات امم يعتبر عامروها من أحوص
الناس على روح الديموقراطية ، واكثرهم محافظة على جوهر
الدستور في بلادهم

اكتف الشعب الانجليزي والفرنسي والاميريكي يسلم
الحكوماته بمنزل هذا التشريع ، لو ان الديموقراطية أو الروح
الدستورية قد معها ذلك التشريع الذي استنته الحكومات
المذكورة منذ عشرات السنين بدون ان تزلزل الارض زلزالها ،
وتندلع أسنة الثورات ونيرانها ، تلك الثورات التي توقد
فتيلتها هناك ، وتنفجر فديفتها لاقل الاسباب ؟؟؟

كلا وربك فلو كان على مثل هذا التشريع المعمول به في اكثر
الامم الديموقراطية غبار الاستبداد لقامت الثورات ، وتزال
من الوجود الكثير من الحكومات ؟

لا يضير « الوفدية » ، ولا يفسد الديموقراطية ان تلجأ أحكومة
الوفد الى سن مثل هذه القوانين !
ولا يضر مصرى يجرى في عروقه دم الوطنيه ، ويؤمن

أجل هذه هي القاعدة ، التي اصطلح عليها مؤسسون
الديموقراطيات ، حتى المتطرفين منهم في العالم كله . فلا
ضرر ولا غيره من التجاء الحكومات لاستحداث تشريع وضمن
قوانين لتنظيم الحريات وجعلها على قاعدة تضمن لكل ذي
حق حقه مادام التشريع والتقنين هو صنيعة يد شيوخ الامة
ونوابها ؟؟

الامر للامة ، وكل أمر يصدر منها إنما يصدر من صاحب
مصلحة ، عليم بما ينفعه ويضره ، فما وجه الاستبداد والجور
الى الديكتاتورية في هذا الامر المشروع الذي سببه مقتضيات
الاحوال والحفاظة على الحياة الدستورية المهددة بالدسائس
والتدبيرات الرجعية الخفية ؟

حقا ان الادعاء بان « الوفدية » أفلس في مصر ، وان
الامر انتهى بالدين يمثلونها الى الاستبداد في الحكم ، والقول
كذلك بأفه لا ضرر على الوطنية من افلاسها ، والتدليل على
هذا وذاك بالتجاء الحكومة الى سن قوانين لتقييد الحرية هو
ادعاء سدهاء الكذب ولحمته التفضيل ، إذ لو كان ما ادعوه قولاً
صادر ائمن بزنون الاقوال لتلاشت الديموقراطيات والوطنيات

البريطانية والفرنسية والأمريكية من قديم الزمن !
ان مصر لم تبتهد في الفقه الدستوري ؛ ولم تستن سننا
حديثه ، وإنما ترسمت خطوات امم يعتبر عامروها من أحرص
الناس على روح الديموقراطية ، واكثرهم محافظة على جوهر
الدستور في بلادهم

كانت الشعب الانجليزى والفرنسى والاميريكى يسلم
لحكوماته بمنزل هذا التشريع ، لو ان الديموقراطية أو الروح
الدستورية قد مسحها ذلك التشريع الذى استعنته الحكومات
المذكورة منذ عشرات السنين بدون ان تزلزل الارض زلزالها ،
وتندلع أسنة الثورات ونيرانها ، تلك الثورات التى توقد
فتيلتها هناك ، وتمتدحز فيفتتها لاقبل الاسباب ؟؟؟

كلا وربك فلو كان على مثل هذا التشريع المعمول به فى اكثر
الامم الديموقراطية غبار الاستبداد لقامت الثورات ، ولزال
من الوجود الكثير من الحكومات ؟

لا يضير « الوفدية » ، ولا يفسد الديموقراطية ان تلجأ أحكومة
الوفد الى سن مثل هذه القوانين !
ولا يضر مصرى يجرى فى عروقه دم الوطنيه ، ويؤمن

بالديموقراطية أن يستعمل حريانه على شكل لا يتعارض مع
حقوق غيره من بنى جنسه . أما الذين يصعدون في أعمالهم ،
من فكرة خبيثة ، ودوافع لها خبيء ، فيكفى هؤلاء تلك
الصفعة التي نزلت على وجوههم من يد القضاء العادل الذي
برر وجوب حماية حقوق الغير عند استعمال الأفراد حرياتهم
فقد جاء في حكم صدر أخيراً في هذه الظروف ما يأتي . —

« ان الحرية الشخصية نص عليها الدستور الذي يكفل لكل
فرد من افراد الامة ان يتمتع في حدود القانون بحرية كاملة
مطراً ألا تتجاوز هذه الحرية حدودها ، والاينشأ عنها اذى
للغير لانه في هذه الحالة تقع الجريمة ويحق العقاب » اهـ
أرأيت كيف هدم القضاء العادل نظرية ادعائهم بافلاس

الوفدية ؟

ثم أرأيت كيف يهربون من اقامة النقد على قاعدة بريئة
تحمض الهيئة الاجتماعية من الشرور والآنامل ، وأن ما يرغبونه
هو جعل الحرية أداة لانتاج الفوضى ، واثارة الشغب ، والعبث
بالنظام ، واطلاق اللسان البذيئة في الاعراض الطاهرة ،
واستعداد طوائف الامة بعضها على البعض ، وبالاختصار
فانهم يريدونها على النحو الذي لا تمتطيع فيه الوطنية أداء

رسالتها الحقّة ، لغرض في نفوسهم هو : ملء الجو بالصباح
والنباح ليقولون كذبا :

« أن النظام غير مستقر ، والفوضى منتشرة ، فيامن بيديكم
الامر ، أنقذوا الشعب من نواب الشعب ! واطردوا هؤلاء
الوفديين من مكاتبهم ، وادخلونا نحن الى هذه المكاتب فانا
أعرف الناس بالحكم وأقدرهم عليه ، وأكثرهم به خبرة » ؟ .
هذا هو سبب تدميرهم من التشريع الدستوري ، ومسر
تأفّفهم وتضجرهم منه ؟ .

الصيّد كل الصيّد ، بل جوف القراء ، هو الوصول الى
مقاعد الحكم ، تلك المقاعد التي يعتبر طريقها الوحيد الآن ،
بعد أن حصلت مصر على استقلالها ، هو رضا الامة ، وهم
لا يحسنون كسب رضائها الذي لا يعطى قسرا ، وانما يمنح منحا
ولذلك هم يفتحون كثيرا فظنا منهم أن النباح مجلب للمناصب ؟

لنتركهم في عوائهم ونبايحهم ، فلن يستطيعون عقـ الامة بعد
اليوم ، لان عيونها قد تفتحت ، وصممت على أن تحيا حياة
دستورية لاشائبة عليها .

أجل لقد صممت مصر على أن تحيا حياة دستورية فلن

تخضع بعد اليوم للديكتاتوريات التي تعرق سيرها نحو المدنية
والعمران ، فان استطاعوا احراج وزارة الوفد اليوم ، وأتتهم
ظروف ساعدت على تمثيل المأساة البرلمانية فلن يضر هذا الامر
الامة بشيء فلقد تعودت مهصر على الجهاد ولم تنفها حتى أشد
الايام سوادا عن المطالبة بحقوقها ، فاخلق الوفد إلا للجهاد
والكفاح ، ولن يضيره أن يتجدد هذا العراك لتتطهر البلاد
من أسباب الفتنة ، فرحبا بأيام الجهاد والنضال .

خصوم الديموقراطية

من المقرر أن كل فكرة ، سواء كانت دينية أو اجتماعية
أو سياسية ، لا تسلم من خصوم ألداء يوجهون جهودهم للقضاء
على أغراضها ، والسبب في هذا يرجع الى تفاوت النفوس في
المبول والأغراض ، فكل نفس خلقت لما يسرت له وجلبت عليه ،
وكل انسان يعمل على شاكلته .

ولا يحتدم وطيس العراك والحروب بين أنصار وخصوم
الرسالات العمرانية أو الاجتماعية والسياسية فحسب دون
نواحي الحياة الأخرى ؛ وإنما تجد الخصومة في كل ما يتصل
بالحياة ، وأكثر من هذا فان رغبة الله — سبحانه وتعالى —

فى خلق البشر ، هذه المشيئة الالهية ، لم تسلم هى الاخرى من معارضين لها ! .

لما قال الله سبحانه وتعالى « للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة » ولما قال جل وعلا « اسجدوا لآدم » ظهر اللعين من بين الملائكة معترضا ، وأخذ يفاضل بين الصلصال والفخار وبين الحمأ المسنون ، مفاضلة انتهت بطرده من السماء ، وخروجه من رحمته ، ولذلك فان كل معارضة ، يراد بها اطفاء نور المبادئ الحقة التى تكسب الهيئة الاجتماعية من وراء انتشارها خيرا ، نجدها صادرة عن الحسد ، ومكتوبا لها الفشل ، حتى ولو كان مؤيدوها من القوة وعزة الجاه والثراء بدرجاة يفوقون فيها ناشرى تلك المبادئ .

وليس أدل على هذا من تاريخ الاديان نفسها ، فانت تجد أن مؤيدى الرسل - صلوات الله عليهم أجمعين - كانوا بادية ذى بدء ، من قلة العدد والمكانة فى الهيئة الاجتماعية ، ما يقل بكثير عما كان عليه خصومهم ، ولكن الله أراد أن ينتشر نوره ، وان يندك عرش فرعون وتداول دولته على يد صغير النقط من البحر طفلا ؟

وأراد الله أيضا أن ينشر تعاليم المسيحية فعممها فى الكون

على يد رضيع قلْ خُصومه وهو في المهد » ... إني عبد الله
أتاني الكتاب وجعلني نبيا ، وجعلني مباركا أينما كنت
وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرأ بوالدي ولم
يجعلني جباراً شقياً والسلام على يوم ولدت ويوم أموت
ويزم ابعت حيا »

ثم اراد ان ينشر الدين الاسلامي الخفيف فظهره على يد
الامين محمد ، ولم يظهره على زعيم من زعماء قريش حتى لا تؤامن
العرب وغيرهم بلدين دون جهاد ونضال ومعارضات وما الى
هذه من التناحرن الذي له الفضل في رسوخ العقائد في الصدور .
أرأيت ، بعد هذا ، ان محاولة اطفاء نور المبادئ الجميلة
من النفوس أمر لا يمكن أن يتحقق !

وان المبادئ فكرة ، والفكرة في الصدور ، وكل ما هو
في الصدور لا ينزع منها الا بالموت !

لن يضير الوطنيات ، التي تعد من اجل الرسالات ، معارضة
بعض الناس لها ، خصوصاً في هذا العصر الذي نشطت فيه العقول
وعرفت الافراد والجماعات حقوقها في الحياة .

وكذلك لن يضير الحقوق الوطنية في مصر ، عمل شرذمة

فاقت في أساليب خمد - وممتها ما جعلها تبهل أبسط دروس
الرجولة والكرامة وعزة النفس التي نعطي للأطفال في روضاتهم
في شكل قصص بسيط!

لما قامت هذه البلاد قومة رجل واحد ، مأخوذة بصوت
سعد الذي كان له من السحر والحلال والرهبة ما كان لصوت
بلال - رضي الله عنه - من حيث القدرة على قراص الصقوف ،
خرج على المجموعة قوم يعملون منذ ذلك اليوم الى الآن على
النكابة والتنكيل بوكلاء الامة المطالبين بحقوقها .

فلما كن وكلاء الامة يناضلون المستعمرين ، كان هؤلاء
الخوارج يناضلون وكلاء الامة .
أتعرف لماذا ؟

السبب في هذا لكي تتوزع جهود الامة الى ناحيتين :

الاولى - مناهضة الغاصبين

الثانية - مناهضة الخوارج

ومنى توزعت جهود الشعب الى ناحيتين كانت أضعف مما لو
كانت متجهة اتجاها مباشرا ضد الغاصبين ، وهذا هو السبب
الذي جعل مصر تملا - كآ ، بعض التلكؤ على طريق الجهاد رغم

ان الزعامة موفقة في دورها !

ولم ينشق هؤلاء القوم عن الامة بسبب المطالبة بحقوق غفل
سعد أو خليفته عنها ، وانما كانوا لا يريدون لهذه الامة حرية
اطلاقا ، لانها في نظرهم أمة « لا تصلح لان تحكم نفسها بنفسها »
« وأنه من الخطأ ان تمنح دستوراً فضفاضاً » لانها « في منتهى
الغباوة والجهل » وانها « أمة من الرعاع » وانها « قوم من
لابسى الجلايب الزرقاء » وانها وانها ، من النعوت الكاذبة
التي لم تختلف نسب مدورها عنهم ، بل هي مما جرى بها
لسانهم وخرجت من افواههم في كل مراحل الجهاد .

وان تنس مصر فلن تنس لهم يوم تسللوا لوازا الى حظيرة
الغاصبين ، وكشفوا له عن جسدها ، وعينوا للخصوم مواطن
الضعف فيه ، أو يوم خروجهم على الاجماع بدافع ملء المناصب
الحكومية التي كانت شاغرة اذ ذاك ، أو يوم تأمروا على
ضعد محاولين قتله في اسبوط

أجل لن تنس لهم مصر موافقهم المخجلة التي تعتبر من اقذر
المواقف التي انسحبت على أحوالها النفوس البشرية منذ هابيل
وقايل فأمنت ! خصومة ذات أساليب وضيعة

من من الناس بلغ به حب القضاء على خصمه إلى درجة

نسولت له نفسه اتهام وطنه الذي منه نشأ بعدم اهليته للدستور
والاستقلال ، والدستور هو الضابط للاستبداد ، وبدون
الاستقلال لا ترقى امة الى ما تمتغيه من التقدم ؟

لم يتهم أبو جهل العروبة بالعمالة أو العقم ، وإنما كان يتغنى
بها ، وبمعة مدح مدنها ويشيد بأصلها وكان ما بين رسول الله
وبينه هو أن يظهر الامر على يديه ، وتكون الرئاسة
لشيوخ قريش ، وكذلك كان شأن كل الخلفاء ومات . اما
خصومة هذه الشرزمة فقد تناوت تلويث اسم الوطن ورميه
بنعوت يستحق الانسان من ترددها ، ورحم الله من قال :
« بلادى وان جارت على عزيزة »

ألم يرسلوا الرسل الى لندن ، قبل وفي اثناء المفاوضات
التي جرت في سنة ١٩٢٤ ، ليعكرونها بها جو المحادثات التي
دارت رحاها بين سعد وماكد ونالد ؟؟

ألم يتهم ، هؤلاء الرسل مصر بعدم صلاحيتها لان تحكم
نفسها بنفسها فرموها بما تورع عنه الخصوم الشرفاء ؟

اجل حصل هذا وها هو التاريخ ينبئك به ، الامر الذي كان
له وقع سيء - وقتذاك - في نفس الراى العام المصرى ،
م ٥ - الديموقراطية

لا تخوفه من فشل المفاوضات وإنما للقذف العلني الذي طغمت
به الجرائد الانجليزية ضد مصر اذ ذاك ، وكانوا هم مصدره
باموالهم واقلامهم ؟

ان التاريخ ينطق بإقوم ، فلا لوم علينا ولا تريب في نبش
سيرة الماضي ، تلك السيرة التي يجب ان تنبش لتقضى على هذه
الغيرة الكاذبة والزهد المفضوح والوطنية التي تلبسون الان
ثوبها ، حتى لا تنخدع البلاد فتظن العصور من الحقائق والاحلام
يقظه والسراب ماء والزبد نافعا .

لا بد من نبش قبر الماضي فليس ما ينفع الامم غير الرجوع
الى ماض-يها لتعرف الغلطات فتتقى في مستقبلها الوقوع
في امثالها .

فلنسكت ، . . . لنستمع الى مايقوله ماضيكم و . . . ليرى
الشعب أنكم لجأتم ، قبل الآن كما لجأتم في هذه الظروف الى بعض
مراسلي الجرائد الانجليزية ، للتشجيع على الوفد ومصر وليرى
أنكم تسمتعون دائما الجرائد الانجليزية وغيرها على مصر
ووكلائها كلما احسستم بالحنين الى المقاصب .

وقد كان لكاتب هذه الرسالة في سنة ١٩٢٤ شأن ، في نقص
هذا الموضوع ، مع هؤلاء المعارضين فكتب الى المرحوم الاستاذ

الرافعي بك يعتب عليه اذ شياقه مع المعارضة في حملاتها ضد سعد ، وبأخذ عليه أن ينساق فيما أباحت له انفسها من الطعن في سمعة مصر بواسطة الصحافة الانجليزية ، وفي الوقت الذي جرت فيه المحادثات بين سعد وماكدونالد ، وسننشر مجلة طغاف من ذلك المقال واخرى من ردود الاستاذين المرحوم الرافعي بك والاستاذ المازني على كاتب هذه الرسالة ، ثم تعقيب العقاد افندي على المقال والردود ، ليري القاري ان المعارضين لا وفد لم يتورعوا حتى عن التجرد من أبسط مبادئ الرجولة بالظن في أهلية بلادهم للاستقلال.

قلت الاخبار:

حول المعارضة (١)

« أرسل الينا حضرة الاديب الفاضل امام افندي شافعي أبو شغب خريجي جامعة فينا في العلوم السياسية والاقتصادية مقالا عن المعارضة والمعارضين تناول فيه نقد خطتنا وخطة غيرنا من المعارضين .

ولما كانت خطة غيرنا لاتعنيننا فنحن نثبت هنا مقاله خاصا

(١) مقتبس من مقال عنوانه « حول المعارضة » في العدد

المصادر في ١٣ اكتوبر سنة ١٩٢٣ بجريدة الاخبار

مخطتنا على أن نجيب على انتقاده في مكان آخر.

وبدأ حضرته هذا المقال بالتسليم عن المعارضة من حيث هي فقال :

« ان المعارضة كلمة سامية ولفظ مفهومة زنة المسائل والنظريات بميزان العقل والاستقراء ، وبعبارة أخرى بالمنطق الصحيح ، وبدون هذا يكون من المتعذر اصلاح الخطأ ، وتقويم الموعوج ، والوصول الى الحقيقة المجردة من كل زخرف أو طلاء يكون من شأنها أن يجعلها أقرب إلى الباطل منها إلى الحق

« ولا أخالك الآن تكون - أيها الكاتب العبقري - متفقا معي على ان المعارضة الشريفة المفيدة يجب أن تكون مترهة عن الحزارات الشخصية والغايات النفعية وبعيدة عن أن تكون صادرة من قلوب ملأى بالحق والفضيلة حتى تكون طريقا يوصلنا إلى صرح الحقيقة الشامخ ويبدد بشعاعه الوهاج ظلمات الباطل ويظهر مواطن البهتان ومكان الغش والمخادع. ولولا المعارضة ما ظهرت النظريات السياسية التي لا تأنيها الباطل من بين يديها ، ولا من خلفها ، ولما كانت الامم المستقلة الآن متمتعة باستقلالها ، ولا كان للدستور معنى بحلو مذاقه للدستور بين »

« ليس من يعيب المعارض معارضته ، لانها واجبة لسعادة
الامم ورقبها ، ولكن يجب ان تكون مصدرا للسعادة ، وينبوعا
للراحة ويجب ان نلبسها ثوبها الشريف لينبعث من احته كالك
الاراء ببعضها أثناء المعارضة ، أصوب الافكار وأجداها
للمجموعة نقعا .

« . . . هذه هي المعارضة الشريفة التي تلعب أنجح الادوار
في رخاء الامم المستقلة — ابها الصحفي القديم — وقد حددنا
لك معناها لاننا في مقام تلعب فيه المعارضة في مصر ادوارا
مخجلة و نراك تجار بها فيها أنت الذي نربأ به عن الانزلاق فوق
أديمها والانسحاق مع تبارها .

« هل من المعارضة الحقبة تسوى سمعة البلاد على صحف
لندن كما يفعل الآن رسلها ؟

« منذ ان ظهرت الفكرة المتعلقة بسفر سعد الى لندن لمحادثة
المستر ماكيدونالد في القضية المصرية ، والشؤون والمشاكل
الراهنين ، بدأت المعارضة تعكس الجو السياسي ، في مصر
ولندن ، ودأبت على اطلاق مقذوفاتها النارية حتى ملأت هذا
الجو بدخان حالك لعرقلة مصاعى سعد المتفاوض المصري ،
وزفعت عقيرتها هنا محاولة ان تلقى في زوع الجمهور أن كل عمل

« سيامى يقوم به سعد ما هو إلا تمويه وخداع ومواراة !

« غير أننا لم نعبأ بهذه الأقوال لأنها صادرة من قلوب يحيش بها الحمد تلقاه سير مصر الحثيث على طريق التقدم ، والمكان السامى الذى حل فيه سعد من كل قلب مصرى ، وإنما الذى أردنا ان نلفت أنظاركم اليه هو ما سمحتم به لأنفسكم من إيفاد الرسل الى لندن للتشهير بمصر وبقضيبتها العادلة .

« تحملون على الرئيس لذهابه للمفاوضة ؟

« فهل ترتب على المفاوضة فقدان حق لمصر حتى فبررحملائكم عليه ؟

« وهل قام سعد بالمفاوضة الا بعد موافقه شيوخ ونواب الامة موافقة رسمية وقام بالمهمة متمسكا بحقوقنا دون ان يحيد عنها قيداً عملة ؟

« كفى سعد فخراً أنه رفض بشهادة نادرة اشراك الغاصب فى حكم وادى النيل ؟

« فهل هذا مما أساءكم ؟

« وهل كنتم تريدونه ان يسلم للغاصبين بضرب النذل والاستعباد على مصر

« يجب أن نسلك فى معارضتنا محجة الصواب ، وان نخدم

وطئنا خدمة حققة ، وأن يقدر كتاب المعارضة وزعماءها
موقف مصر الحاضر حق التقدير بغير عين الحزبية ، وينظروا
الى مكاننا اليوم الذى طوحتنا اليه طوائف الحزبية !
« هذه هي كلمتى لك ، ايها الاستاذ الفاضل فهل نجدنى اخطأت
فى تصوير المعارضة »

امام شافعى أبو شنب

ولم يستطع ، لا المرحوم الرافعى بك ولا الكاتب القدير
المازنى افندى ، وهما اللذان تبرأ من خطة الاحرار الدستوريين
أن يبررا لى وللرأى العام سبب حملات المعارضة على سعدوايفاد
الرسول ، إلا يبراهين دلت الحنين اللاحقة لذلك الوقت والى
نعيش فى ظروفها الآن ، على عدم جديتها ، وعلى أنها سفسطة
فى سفسطة لأنهما نجما (١) : —

« أن سفر سعد باشا الى لندن لمفاوضة مستر ماكدونالد
جعلت روح المقاومة فى البلاد تضعف ، لان فكرة انتظار الخير

(١) مقتبس من مقالين نشر ابصحيفة الاخبار الغراء فى ١٢
و ١٤ أكتوبر سنة ١٩٢٤ ردا على عتاب كاتب هذه الرسالة.

من الغاصب ، و احسان الظن به إذا تسربت الى النفوس وبقيت فيها فترة طويلة من الزمن أضعفت بلا شك قوة المقاومة لان هذه القوة لا تنمو الا اذا غذيت باستمرار وهذه التغذية لا تأتي إلا من الاعتقاد بأن الغاصب موء النية مفتئت على حقوق البلاد .

وفي موطن آخر من مقاليهما قالا :

« وما مثل سعد باشا — في سفره الى لندن — الا كمثل قائد يذهب بجيشه لمقاتلة عدو له حتى اذا وصل الى مقر هذا الخصم وتبادل معه المخاربة رأى الطرفان أن يعدلا عن القتال وأن يبقيا الحالة على ما هي .

« فاذا تبين أن القائد الاول لم يصل الى مقر خصمه الا بعد أن كبده جيشه بعض الضحايا ، وبعد أن مات بعض جنوده لوعورة الطريق ، أو لغير ذلك من الاسباب ، فهل يقال عن هذا القائد انه لم يخسر شيئا لجرد انه لم يشترك في قتال مع عدوه ، ولم يسلم لهذا العدو في شيء من الحقوق ؟؟ .

« أجل وما مثل سعد باشا الا كمثل ذلك القائد .

« لم يخسر شيئا . . . هذا قول يلقى على عواهنه ، والا فليجد ثنى الاستاذ أبو شنب عمما قوبلت به رسالة المستر

ما كبدونا له في مصر وأين الاصوات التي ارتفعت بالاحتجاج
عليها تلك التي قوبلت بجمود محزن من الوفد «الخ المقال الذي
دار كله على أن سفر سعد رحمه الله أضعف من روح المقاومة ؟
ويا ليت المرحوم الراحل بك كان بيننا في هذا الوقت حتى
كان يرى ، كما رأى الاستاذ المازني - أمد الله في عمره -
أن التخوف الذي دفعهما الى مقارمة سعد ، والى الانضمام
الى زمرة المعارضين الذين سوات لهم أنفسهم تجريح مصر على
صحف لندن ، ان ذلك التخوف وهمي لان السنين اللاحقة
لمفاوضات ، سعد ما كبدونا له ، دلت على أن التعاليم الوطنية
في صدر هذه الامة كالنيران المتأججة في أتون ، فلم تضعف
روح المقاومة في نفوس المصريين بل بالعكس ، فانها كما رأينا ،
قد أضعفت قوى الاستعمار فاعترف لها بحقوقها ، وصعق تيارها
الديكتاتوريتين ، الحديدية والفولاذية !

واليك تعقيب العقاد افندي على مقال كاتب هذه الرسالة
وردود الاستاذين الراحلين بك والمازني :-

سياسة المستقبل (١)

وخطة الاحرار الدستوريين (٢)

« وإذا لم يبق احد يخشى على مصر غير الاحرار الدستوريين
فقل على مصر السلام ، وإذا صح انهم مشغوفون اليوم عليها ،
وجلون مما يصيبها فتقد بلغت الامور الى اشدها ، ورثي لمصر
من لا يرثي لها ، فاللهم لطفك واجعلهم كاذبين كما جعلتهم في
كل حين

« كان على هؤلاء الاحرار الدستوريين ، وهم كما يزعمون
انهم حزب له مكتب وصحفه وسكرتير لا يزال يعضى قراراته
في الصحف من حين الى حين ، وسياسة يريدون ان يستبدلوا
بها سياسة حكومة الوفد ، ورأى في المفاوضات غير رأى
الاحزاب الاخرى ، كان عليهم ان يجتمعوا بعد انتهاء
المحادثات ويقرروا ابيهم في الخطة التي تجري عليها البلاد بعد
اليوم ، لبتقيدوا بهذه الخطة في انتقاد الحكومة ويصدروا عنها في

(١) مقتبس من افتتاحية البلاغ الصادر في ١٧ اكتوبر

سنة ١٩٢٤

(٢) الاحرار الدستوريين في ذلك الوقت هم المعارضون

الآن قبل أن ينشقوا الى ثلاثة احزاب

أقوالهم وأعمالهم الرسمية، وكان عليهم ان يشيروا على الامة
برأى فى المفاوضات

« يجب ان يعرفوا انهم عصابة لا يخطط لمخالفاتها بنـ»

البوليس والخبراء ، ولا يمكن ان تتقى الانتقاء بجانبها بتغيير
خطط ، او تصحيح البرامج ، لانها لا تسير على خطة او
تعمل ببرنامج محدود

واذا قلنا من اليوم الى أن تعلم رأيهم القاطم الذى لا يحددون
عنه كائنًا قلنا من اليوم الى الابد ، لانهم لا يدينون برأى قاطم
ولا يثبتون على وعد ، ولا يبرون بقسم ، وقد يجتمعون اليوم
او غد ويقررون الامفاوضة ولا محالفة ويعلمون سياسة ،
الاتعاون ، ثم ينقضون ما أبرموه بعد اسبوع واحد أو أقل
من ذلك .

« الخطة الثابتة التى يحاسبون عليها هى الخطة التى توصلهم
الى ابواب الدواوين ، وكراسى الوظائف ، والرأى الصواب
هو ان يستقيل سعد من الوزارة ثم الرأى الصواب بعد استقالتها
ان يلغى الدستور ، وتسلم اليهم قيادة الجماهير ، ليقودوها الى
حظيرة الانجليز . . والرأى الصواب بعد ذلك ، أن تنسى الامة
مطالبها وتلزم الصمت ، وتترك لهم الدنيا الى ان يدركهم الرأى

الصواب ،... بعد عمر طويل أو قصير

تلك هي الخطة السديدة وذلك هو الرأي الصواب ، ولاجل
تلك الخطة وذلك الرأي ، تسلموا الى لندن من طرق شتى ،
 واجتمعوا فيها على موعد (ودفعوا اجمعهم) ليعلن في الدايلى
تلغراف عن وزراء تحت الطلب ، يقودون الجماهير ولا
ينقادون لها والخبايرة باسم حزب الاحرار الدستوريين بشارع
المبتديان والاسعار فى غاية المهادنة »

« وبعد ان نشروا هذا عادوا متسليين كما ذهبوا ، ووصلوا
دون ان تذكر صحيفتهم من أين أتوا ، كأنما يشعرون انهم
تواعدوا على جريمة مخيفة ثم قعدوا فى دارهم ينتظرون ذلك
الطارق الذى « اطلع على الاعلان » واقبل فى طلب الوزراء
بعد المعايضة والامتحان ولا يزالون منتظرين حتى اليوم . !

« يا صاحبي القسارىء سهونا وجل من لا يسمو ، انهم
لا ينتظرون فى الدار ولا يطبقون الانتظار وانما يسألون
الوزارة : ماذا تصنعين ؟

« الوزارة قد اجابتهم ، لو ارادوا جوابا ، وقد ثبت للامة
خطتها ولم يبق فى القطر من لم يعرف انها تنوى اتباع الطرق
السياسية الى حين ، وانها فى أثناء ذلك تعرض الامر على البرلمان

ليرى فيه مابراه ، وانها لا تقبل دون المطالب التي اتفقت
عليها الآن بحال من الاحوال ، وفي هذا جواب كاف لمن
شاء . ولكن ليس الجواب الذي ينتظره الاحرار الدستوريين
لانهم يسألون الوزارة : ماذا تصنعين ! وهم يعنون : متى
تستقبلين ؟ ؟

عباس محمود العقاد

ولبت حادثة « ايفاد الرسل للتشهير بمصر في لندن » هي
الاولى من نوعها ، وانما هناك حوادث اخرى اقربها الى
الاذهان « كتاب اليد الحديدية » الذي طبعت منه المطبعة
الاميرية مئات الآلاف من النسخ التي وزعت في لندن ؟ مما
يريك أن هذه « العصاة » التي لا يحنط لمخالفتها بغير البوليس
والخبراء « لا تحس بالوطنية » ، وانه حقا « اذا لم يكن لمصر
غيرها فقد بلغت الامور الى أشدها » كما قال كل هذا فيها
كاتبها الكبير الذي طهره منه صفوف الوفدين الآن ، فامسى
يحارب مصر في صفوف « عصاة » حاربها بالامس ولم يترك
من عبارات العار والفحش كلمة لم يلصقها فيها بعد .
حقا ان هذه « العصاة » لا تؤمن بالوطنية ولا تحس بابط

مبادئ الرجولة ، وليس هذا تصويرنا لها ولا قولنا فيها ، وإنما هو قول مقتبس مما قالوه في انفسهم ، وان أردت الدليل فليس اظهر في الدلالة على هذا من مقال العقاد افندي ثم من طعن اليد الحديدية في مجلس وزراء اليد الفولاذية ، وهذا الاخير في الاول .

لم نقل نحن ان مجلس وزراء الديكتاتور الفولاذي عبارة عن «عصابة من ...»

وكذلك لم نقل ان الديكتاتور الفولاذي «متدرن من منبت الشعر الى اخمص القدم» وأيضا لم نقل عن انصار وعصابة الديكتاتور الحديدي «انهم فلول ...»

واخيرا لم نقل «ان الاحرار الدستوريين لا يدينون برأى قاطع ، ولا يثبتون على وعد ولا يبرون بقسم» كما قال عنهم كاتبهم الكبير تحت عنوان (الاحرار الدستوريين وسياسة المستقبل) ، لم نقل هذا ، وإنما الالمنة التي قالتها هي الالمنة التي ولغت في بعضها .

كالنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله

اجل ان المنتهم هي التي رددت هذه القاذورات التي تؤلمهم الآن ، رددتها لما اختلفوا على المناصب وخرجوا على بعضهم فامسوا ثلاث عصابات بعد ان كانت عصابة واحدة .

فهل تستطيع هذه العصابات ، التي لا تعرف الا خلاص ، حتى
لنفسها ، هل تستطيع ان تمهد امة صممت على أن تمحيا حياة
اساسها الشورى ؟

كلا ، ورب المشرقين والمغربين ، لن تستطيع هذه العصابات
ان تنال من الامة ولوحالفتهم الابالة .

العرش

ولما يسوا من التغلب على الامة بالصراع العلني أوحى اليهم
الشیطان ان يبذروا بذور الدس بين العرش المفدى ، الذى لا
يتربع جلالة الجالس عليه على كرمى من الخشب ، وانما يحل في
قلوب الملايين

أجل : بذروا هذه البذور ، التي لن تنتج الا نتيجة وقتية
لا تلبث أن تزول بذورها اعتقادا منهم بانها ستكون بمثابة العلم
الذى يرتقون من فوقه الى المناصب !

وان دلت ، بذور هذه الدسائس الخبيثة على شيء ، فاكثر
دلائلها على ان القوم لم يتخبروا التربة التي بذروها فيها ، لان
الشك لا يمكن أن ينطرق الى اخلاص الوفدين للعرش لانهم
مقتانون في حب وإجلال الجالس فوقه ، ذلك الملك الشاب
الذى له في القلوب مكانا روحيا

ليس الوفديون هم الذين يقطرق الشك الى اخلاصهم للعرش
وانما ينطرق الى الذين قال قائلهم « انا وحدي الذي اقرر متى يعود
الدستور » فلمهم سوابق في هذا يدللك عليها « حديث الباخرة
... والديكتاتور الحديدي » ثم « الرغبة في ان يكون ذلك
الديكتاتور بمثابة قائم مقام لجلالة الملك الراحل رحمه الله »
و « اسباب مدحجن الـ كاتب الكبير » و « الامور التي كانت تقم
في ايام اللورد لويذ »

يا قوم « لا تذكروا اشياء ان تبدل لكم نسوكم »

اجل ابتعدوا ولا تضربوا على هذا الوتر لان التاريخ له
لسان لا يرحم فلا تحشرون اسم الفاروق الكريم ، فما وجد
الى الان شعب يجل مليكة ويتفاني في الاخلاص له غير
الشعب المصري الذي يجرى في دماؤه دم الملكية مجرى
حاراً غرم دسائسكم .

وكرر الدسائس

ولم تقتصر المعارضة على مثل هذه الاساليب والدسائس
الوضيعة الخفية بين الامة والعرش ، ثم بين طوائف الامة
وبعضها وإنما ارادت ان توفد فتية لفتنة عامة في البلاد

وتشعل القنبلة التي هيؤها للعبث بالحياة الدستورية

أجل ارادت ان اتوقد فتيلة الفتنة بالاعتداء المزرى على
سيارة حضرة صاحب المعالي مكرم عبيد باشا أمام سمع وابصار
رجال المراسى فساءوا بهذا لا إلى مكرم ، وإنما إلى المليك
القدى اذ وقع الاعتداء أمام المراسى التي يجب ان يكون لها
الاحترام التام فى كل القلوب فلا يقع فى ساحتها مثل هذه
الاشياء المزرية .

ولقد صور زميلنا المحترم رئيس تحرير جريدة المهرى
الاغر هذا الاعتداء الذنى تصويرا صادقا وعاق عليه تعليقا
مشاركه فيما ذهب فيه من القول بان مثل هذا الاعتداء لن
يشفى غليلهم من مكرم أو من الوفد المهرى ، فما مس
مكرما ولا مس الوفد المهرى ، ولا استطاعوا به ان
يهينوا الامة ، فكم من مرة ، وفى ساحات الجهاد وميادين
النضال اعتدت القوة الغشوم على مكرم وسلطات على الوفد
نيران المظالم المصارخة . . وكل ما هنالك انه لم يحدث أن وزيرامن
وزراء جلالة الملك يصير الاعتداء عليه فى ساحة القصر
الملكي وامام وزيرين مفوضين على هذه الصورة .

٦ م - الديمقراطية

قالت جريدة المصري الأغر : —

اساءة ...

ان أبدي مجرمين شريرين قليلي الادراك والنبه بعبواقب
الامور هي التي دبرت هذه المؤامرة المكشوفة. والافنامعنى
ان تجتمع شر اذم المأجورين ضعاف الاحلام من طلبية الازهر
وغيرهم في ساعة يذهب فيها وزيران مفوضان جديدان ليقدموا
أوراق اعتمادهما ؟ وما معنى أن يختار هؤلاء المساكين المأجورون
يوم أمس ليهتفوا بسقوط المكرمين ومكرم في ساحة طابدين ؟
فاذا كانوا قد اجتمعوا لتحية صاحب الجلالة عند وصوله الى
الصرای فليست هذه المرة الاولى التي ينزل اليها جلالتهم .
وليست هي المرة الاولى التي يقدم وزراء مفوضون اوراق
اعتمادهم . ومن هنا تنفضح المؤامرة ويتبين أن المساكين
استؤجروا لتحية مكرم بالهتاف بسقوط مكرم ، ثم ليعودوا
ادراجهم بعد اداء مهمة الهتاف .

نحن أحرص الناس على حقوق العرش لانها جزء من
الدستور ، كما أننا أحرص الناس على حقوق الامة ، وسلطة الامة
هي كل الدستور

مكرم عبيد

وما أعذبه والله على السمع من أن يسمع من مأجورين
 مساكين ، فإنه يحمل كل معاني التقدير لهذا المجاهد المصري
 الكريم . إذ عجز المعارضون عن أن يحملوا الناس على
 على كرهه بتغيير عقائدهم فأرادوهم على كرهه بمالههم . وعجز
 المعارضون عن مصارعة مكرم وجهه الوجه فحطوا عليه نفر من
 الصغار ليعتدوا على سيارته ولينالوا من زجاجها ما استطاعوا !!
 فإذا كان المعارضون قد شقوا غلهم الذي يأكل صدورهم من
 مكرم ، فليعلموا أن هذه الهتافات الداهية ادراج الرياح . لأنه رجل
 جميعا عندها . قال مكرما ابن سعد لا تروعه هذه الصغار ،
 ولا تنال منه هذه الهتافات الداهية ادراج الرياح . لأنه رجل
 جهاد وكفاح ، ولن يستريح حتى يقضى بالحق على منائمه بالباطل .
 وكذلك جميع رجال الوفد رجال عمل وجلد وجهاد .

والله لولا حكمة رجال الوفد ونصحهم إلى انصارهم - وانصارهم
 هم الامة المتراصة الملتفة حولهم - بأن يلزموا الهدوء ويضبطوا
 انفسهم المتحممة ، لكان الذين دبروا مظاهرة أمس في ساحة
 طابدين مصير غير مصيرهم اليوم . وليكن الوفد لا يلجأ إلى
 الاعمال العصبانية ، ولا يستند إلى فئة أقلية ، فهو معتز بتأييد
 الامة له ، مفاخر بتقديرها الحسن لرجالها ، مباحة على الزمان

بذلك الحب المكين الذي يضمه له سكان هذا الوادى الكريم
والوفد — أو الامة — يعلم أن ما حدث أمس أمام جلالة
الملك وعلى مسمع منه إنما هو تمثيل ، وإن أولئك المختلفين
خلاف الحقد إنما يلعبون بالنار ، وسيكونون أول طعام لها إذا
تأججت وحمى التنور .

فهل يعلم أولئك المحرضون أن ما يبروه أمس مسمى الى
ملكهم اذ صنعوه في حضرته وفي ساحة سرايه العامة ؟ وهل
يعلم أولئك الجبناء ان هتافهم بسقوط وزير من وزراء جلالته
في ساحة قصره اهانه الى المقام السامى الكريم .

الأنبا لا أولئك الضعفاء قلبى الذوق والادراك ، وسحقا لتلك
الشرذمة الضالة المفسدة لاخلق الشباب ، التى لا يهتمها من
أمر هذا البلد الحليم إلا قضاء المأرب الشخصى : أما الوطن ،
أما تدعيم استقلاله ، أما سمعته فى الخارج ، أما العمل بخبره
ونفع أهله ، فهى عندهم والعدم سواء .

فليتب هؤلاء المأجورون الى طريق الصواب وليتبينوا
الرشد من الغي ، وليعلموا ان أولئك الذين يدفعون بهم الى
الهاوية لن ينفعوهم فى يوم قريب .

وغدا لا يحيق المكر الحبيب، إلا بأهله وان غدا لناظره
قريب» اهـ

والوكر الذى تبيض فيه الدسائس وتفقص ، أو المصنع الذى
يصنع هذه الاساليب الوضيعة هو ، وكر واحد . أو . مصنع
واحد ، هو : حزب الاحرار الدستوريين ذلك الحزب الذى لما
ارتطم بصخرة الوفد تجزأ إلى عدة أجزاء ، وأمسى وله جهة
امماء :

الاحرار الدستوريين

حزب الشعب

حزب الاتحاد

واذا قلنا : حزب الاحرار الدستوريين قائما فعنى رجال
هذا الحزب الظاهرين والمختفين

وبرحم الله جلالة الملك الراحل المغفور له احمد فؤاد الاول ،
طيب الله ثراه ، فقد كان بعيد النظر واسع الخبرة محققا ضم
اسم الشيخ المراغى الى اعضاء حزب الاحرار الدستوريين .
اجل لقد كان المغفور له الملك الراحل على حق حينما عارض
فى تعيين هذا الشيخ شيخا للجامعة الازهرية اذ قال ، كما جاء

في احدى مجلاتنا الاسبوعية وكما أشيع وقت ذاك انى أرفض أن
يكون الازهر فرط الحزب الاحرار الدستوريين!

باللاسف !

أىكون الازهر فى هذا الوقت وكراً للدسائس ، ومعملاً
لانتاج الفوضى والشغب ، وهو المعبد الذى كان بالامس يشارك
« بيت الامة » فى الدعوة الى التضامن والاتحاد لتخليص
الوطن من شرور الاستعباد والاستبداد ؟

ولكن ليس هذا بمعترب فالحديث الشريف الصحيح :
« : طوبى لمن جعل الله الخير على يديه » ! فادا كان
« الازهر » قد أدى فى الاوقات الماضية ، الرسالة الوطنية حق
الاداء ، فاذلك إلا لان « المشيخة » كانت فى ذلك الوقت تأنف
ان تكون يد القط فى التقاط « الكسنة » ! أواليد التى
تعمل فتيمة الفتنة ، .. أما فى هذا الوقت ، وفى عهد شيخه
الحالى ، فقد خرجت الفتنة عن طريق الازهر !

ان ألف وزارة لاتساوى مثقال ذرة من واجب الاخلاص
للمبدأ الذى عليه قمنا وللهيئة التى فيها ربينا وعلونا .
مكرم عبيد

ان الدين لا يخدم بهذا يا فضيلة الشيخ ، وان كنتم تغيرون
على تنفيذ قواعد فلاس باقاع الفتنة بين طوائف الامة وبعضها
كما هو المقصد من هذا الاعتداء الشنيع

أمامك البغاء الرسمي فيها بإبطله ، ويتم تحت بصرك احتساء
الخمر فيها حضر على منعها ، ووجه طلابك الاعتداء على
معتسى كؤوسها الداخلين منازل الدخانة العلنية والسرية ،
يل أمامك ما هو شر من هذا وذلك ، أمامك الانحلال الاخلاقي
المنفشي في الهيئة الاجتماعية من جراء اعطاء حرية مطلقة للمرأة
حتى سمح لها بمخاضة الرجال في ساحات الرقص ؟

أمامك يا فضيلة الشيخ أمراض تنخر كالسوس في جسم
الامة ولم نرك شمرت ساعد الجند لمحاربتها !

أيها الشيخ : ان الفتنة ناعمة ، وان الامة لحريصة على حب
وصالحاتها ، وان الدين يمت الفتنة فارجع الى الآيات الكريمة
الحكيمة لتتذكر كراهية الدين للفتنة ، ارجع الى المرجع الاعلى ،
الى القرآن الشريف حتى يمكنك أن تسدى نصيحة حقة
الى بعض طلابك المأجورين . . .

واسمع ما يقوله لك كتاب الامة منس ثلثين عن جهودك التي
تبذلها لكرامة الدين :

« ما هي الجهود الظاهرة أو الخفية التي يبذلها فضيلته في

سبيل الادب والنظام واحترام القانون وكرامة العلم والدين
بين المشاغبين من طلاب المعاهد الازهرية ولا سيما معاهد
القاهرة التي تقم تحت بصره وسمعه كل يوم ؟
حضرة صاحب المعالي



مكرم عبيد باشا
سكرتير الوفد المصري

مكرم عبيد

والقوم يتخبطون في سلك الطرق و رسم الخطط ، لتحقيق
غرضهم للوصول الى المناصب التي لا يحملون الالبها ، اذ هي على
حد قول كاتبهم الكبير فيهم « انه لا خطة لهم في الحياة الا
الخطة التي توصلهم الى أبواب الدواوين ، وكرامى الوظائف (١) »
أجل يتخبطون كما يتخبط الاعشى اذا جن عليه الليل ،
أو الاعمى اذا فقد دليله ، فأحيانا يتهمون الأمة بعدم
اخلاصها للعرش ويصورون انفسهم بريشة الحرصين على
الحقوق الملكية ، ومرارا يكون في أفواههم القدرة اسم أحد
زعماء مصر الافذاذ ، بل اسم رجل يفخر به هذا العصر
على كل الامصار.

مكرم ! مكرم !

وليس القصد هو مكرم ، وانما القصد هو الوصول الى
الحكم من ناحية شق الامة الى قبلى ومسلم
ألا شق الله بطونكم ، أن تمشق مصر وتعيثون في جو
الفقنة فساداً

(١) من مقال « الاحرار الدستوريين وسياسة المستقبل »
١٧ اكتوبر سنة ١٩٢٤ مجموعة البلاغ الرابعة «

نحن نعيش في عصر نشطت فيه العقول وحلت فيه القومية

[محل الأديان ، لافي العصور الدائرة حيث كان مسلم وقبطي !

فوفروا على أنفسكم هذا الجهد والضائـم ، لان العصر مطبوع

بخطاب المساواة في الحقوق فللقبطي نفس الحق الذي للمسلم ماداما

يتساويان في المؤهلات ، ولا تحاولوا ، بهذه البضاعة البائرة

الكاسدة إيقار الصدور فالصدور مطبقة على مبدأ لا يمكن ان

يفتزع منها ، وهو مبدأ : « منازل الأديان في المعابد ومنازل

القومية في كل مرافق الوادي » .

الشعب القبطي شعب نشيط يشترك مع شقيقه المسلم في تمجيد

امم مصر وفي رقم سمعتها ، ونسبة المتعلمين بينه نسبة تدل على

طموحه ونبوغه .

فلا فضل لمسلم على قبطي الا بالعمل

وهذا هو المبدأ الذي سيستمر العمل به ، لانه متفق مع

الأديان خصوصا الدين الاسلامي الخفيف الذي بحث على السلام

ليكون العمران .

قد طأدت الله منذ نشأت على أن أصرح بما في ضميري

سعد زغلول

وهذه هي لذتي في الحياة

ألم تكن مالية مصر في عهد عمر - رضوان الله عليه - في يد
أخواننا الأقباط !

ألم يذكر عمر عمرو بن العاص - رضوان الله عليهما - بعدل
كسرى ، بقوله « نحن أحق بالعدل من كسرى » الأمر الذي
يرجع إليه السبب في استرداد المرأة اليهودية لقطعة من أرض
خضاء مملوكة لها كان عمرو بن العاص قد ضمها لمجده ؟

يا قوم . لموا هذه الدسيعة فما عادت تصالح تجارة في هذا
العصر ، ولولم يكن التحدث بالاخلاص وصادق الجولات
يعتبران مناً على الاوطان لفاخر الأقباط كل طوائف الأمة في
العمل على رفع مستوى الحياة في مصر في كل النواحي ، ولبذ
مكرم جل زعماء هذا البلد بجهوده المفضية الشاقة التي خلعت
الثورة عليه من أجلها لقب « المجاهد الكبير » ، والتي جعلت
سعد يفخر بها وبه ، ويشيد بالشاب في مراحل كثريرة من
مراحل الثورة ، اشادة كانت سبباً في ان يصبح الرأي العام
المصري بحياة مكرم ابن سعد ؟

الوحدة متينة ، والصعود الى المناصب من هذه اللاحية
أمر عمير ، فتركوا حديثكم عن مكرم فلن تجدوا له سميعة ،
والمحذوا لكم عن طريق آخر يوصلكم الى المناصب .

مكرم ، مكرم ، ماله مكرم ؟
مكرم ابن الديموقراطية البار لانه ابن منشئ الديموقراطية .
انه شخصية مشيدة على نشاط نادر وزكاه وافر
انه ذو عقل يشع نورا وهاجاً ، كان في عمله الحرليس خامل
الذكر وانما كان نجما ومراجاً .

لم يستفد من المنصب وانما استنماد المنصب منه .
فاذا جناه عليكم مكرم حتى تجعلونه هدفا لهذه الطعون ؟
ان كنتم تجعلون فضله فلان الفضل لا يعرفه إلا ذووه ،
الفضل تعرفه الامة !

عرفت الامة فضله من صادق جولاته في الجهاد ، ومن انكبابه
الآن ، ليلا ونهاراً لداسة الشؤون المعتلة ، ومرافق البلاد
اللوآنى عيئت بها العهود السود ، عهود الطغيان والديكتاتوريات
حتى نحف جسمه الذى كان ممتلئاً قوة .

انه كالشمعه يحرق نفسه ليعضىء للمجموع ، فآثر كوه في عمله
الشاق المفضى الذى يستفيد منه ذراريكم .

وليس المشى بالدسيسة بين العرش المفضى والامة المخلصة ، ثم
بين عنصري الامة ، ليس هذان الامران هما الحيلتان اللتان

تفتق ذهن «العصاة» بهما ، فأمرنا بهذه البلد وحقوقها وانما هناك ثلاثة الاناني . هناك ادعاء «العصاة» بان الوفد ليس في حكمه حريصا على الروح الدستورية ، متباطئا في اصلاح الشؤون ولو أن وزارة الوفد لم تحقق لمصر شيئا في هذه المدة الوجيزة سوى عقد معاهدة الصداقة والتحالف مع إنجلترا ، تلك المعاهدة التي ناضلت مصر للظفر بها عسورا ، والقضاء على نظام الامتيازات الاجنبية ذلك النظام الذي كان علامة خجل في جبين مصر ، وانتظام مصر عضوا في جامعة الامم ، نقول لو أن وزارة الوفد لم تكسب لمصر سوى هذه الحقوق الثلاث لكانها فخرا أنها حققت في مدة رجيعة حقوقا نعمة بر جوهر الحياة وأساس كل وجود سيامي .

فالقول بان وزارة الوفد لم تحقق لمصر شيئا تخروصات وأضاليل القصد منها أن يدخلوا في روع البسطاء : إن وزارة الوفد عاجزة وأن «العصاة» قادرة على اصلاح الامور لا يجدون من هؤلاء البسطاء ، ممن لم يدرسوا تاريخ معارضى الوفد أنصارا للشاغبة للوصول الى المناصب من هذه الناحية .

ثم يريدون « فقط » اشغال فتيلة الفتنة ، وليحذر الذين يجمعون الفتنة فهي من الكبرياء وتلك كبرياء من السمات .

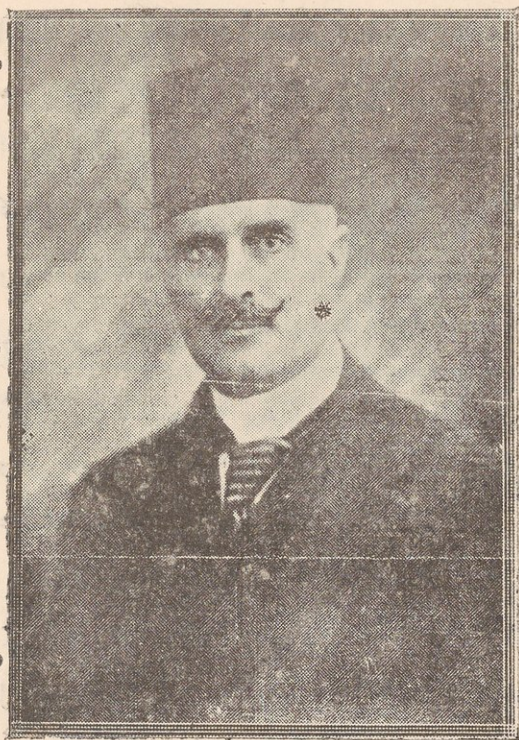
الديمقراطية والامراء .

وحينما يتحدث المؤرخون عن الجهود التي بذلتها الجماعات في مصر للحصول على الحياة الدستورية، لكي تتعرف القرون القادمة والاجيال المتقبلة على أنصار الديمقراطية وأعدائها، فان هؤلاء المؤرخين سيذكرون بنخير - ولاشك - نسل المصلح الاكبر محمد علي باشا رأس أمراء البيت المالك

وأى مصرى صادق الوطنية ينسى ما قام ويقوم به حضرة صاحب العمو الامير الجليل عمرطوسون باشا من جهود صادقة نحو تثبيت قواعد الدستور، وإظهار أنبل العواطف الوطنية في كل المراحل التي تنقلت فيها قضية الاستقلال والحرية منذ اليوم الذي قامت البلاد تشهد استقلالها المغتصب وحرقاتها المسلوقة ؟

لن ينس المصريون لأمراء البيت المالك ما قاموا به من جهود قيمة جديرة بالتسجيل، اذ في كل الازمات التي مرت على هذا البلد، وفي أيام الشدائد القاسية والاختبارات المريرة كان هؤلاء الاسود يقفون بجانب السواد الاعظم، ويدفعون البلاء والكروب عن وطنهم مع المجاهدين الصادقين، بمواعد

حضرة صاحب السمو
الأمير الجليل



عمر | طوسون

مفتولة وعزم الجبارة ، وهى من الامور التى استحقوا لها
من الشعب التناء المعطر ، والمديح الزائد وجعلت لهم هذه
المكانة الفذة فى قلوب مواطنيهم .

وهل ينسى المصريون ماطلعت الشمس حملات الرجل الشعبي
سمو الامير الجليل عمر طوسون ضد صدقى باشا فى الاوقات
التي كانت هذا الديكتاتور ، شذولا بوضع دستوره المشوه
وقانون الانتخاب المبتور ؟

لن ينسى المصريون هذا وسيدكرونه لعهوده بالخير أبد
الآبدى .

وهل ينسى المصريون صدقى باشا بيانه الغريب الذى رد
به على سمو الامير الجليل فقال فيه مامعناه : « ليس للامراء
أن يتدخلوا فى شؤون الانتخابات ، وانهم ممنوعون من
التكلم فى هذه المسائل الدستورية طبقا للمادة ٩٢ من الدستور ؟
فدل رد صدقى باشا ، الديكتاتور الفظ ، على سمو الامير عمر
طوسون على أن هذا الديكتاتور مجرد حتى من مزايا الادب
عند مخاطبته لشخص مهمل محترم اذا ذكرت الفظة كان سموه
عنوانها !

حقا ان للامراء وطنية هي أميرة الوطنيات ، وحقا سيري
المؤرخون أنفسهم امام شغف بالجهاد يفوق كل شغف ،
فلا غرابة اذن ولا عجب ان كانت كلمة المؤرخين ، عند محمد منهم
عن الحركة الاستقلالية المصرية ستكون :
وطنية الامراء أميرة الوطنيات.

ولم العجب وعلام الغرابة ؟ أليس الامراء هم أحفاد محمد على
الرجل المصلح العصامي الذي جعل لاسمه في التاريخ مكانة
لن تقل عن مكانة بونابرت !

* * *

أفتخر بأن أكون على رأس أمة حية شاعرة مفكرة وهي
منزلة لا ينبغي لرجل أن يطلب لنفسه أعلى منها
سعد زغلول

الديموقراطية وجهود النساء

وكان للمرأة نصيب وافر بين الذين خاضوا غمار الحركة الاستقلالية المصرية المباركة التي جاءت للعالم المتمدن بأمة مجيدة نراها الآن أكثر الأمم تقديرا لما للاستقلال التام من معان ومغاز سياسية واجتماعية وعمرانية ، وكان مجهودها منتجا ، وأخلف آثارا صالحة وأعمالا إيجابية باهرة ستكون مرجعا ترجع اليه الامم التي لم تزل تسف في قيود الاستبداد والاستعباد.

واذا قلنا ان الحركة النسوية في مصر لعبت دورا رئيسيا في انجاح القضية المصرية وابلاغ سفينتها الى بر السلامة ، وان هذه الحركة تمتاز عن الحركة النسوية في فرنسا ، التي كانت قبل وبعد عهد نابليون بونابرت ، فلا تكون محايين في أقوالنا مغرضين في حكمنا .

أجل ان نهضة جنسنا المصرى اللطيف للدفاع عن حقوق مصر المقدسة ، تلك النهضة التي أثبتت للعالمين شغف المرأة المصرية بالمخاطرة والمجازفة تفوق كل نهضة نسوية أخرى ، ويكفى لآظهار هذا حرص أم المصريين على أن تكون جنبا الى جنب مع بعلمها العظيم « سعد » في معقله على صخرة طارق ابن زياد ؟

حضرة صاحبة العصمة

السيدة الجليلة



صفية هانم زغلول

شريكة سعد في جهاده

كان لأن المصريين نصيب وافر بين الذين عملوا للنهوض
بمصر .

ورحم الله القائل :

الأُم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الاخلاق
فما هو معلوم لدى علماء الاخلاق والاجتماع أن أساس
ال عمران انما يكتمل حينما يتم النظام العائلي ويتنزه من شوائب
الاخلاق والاجتماع ، ولا سبيل لا كتمال هذا النظام وتنزحه
من هذه الادرا ان الا إذا أعددت المرأة للاضطلاع بهذا العبء .
فاذا كانت أولى أسس الحياة العامة قائمة على المرأة فأي عجب
في أن تكون جهودها أصدق من جهود الرجال ؟

أليست هي أم العاسة التي أرضعت الابناء الالبان من
ثديها ؟ فلماذا لا تكون منتجة في ميدان العاسة كما هي منتجة
بحكم طبيعتها الجماعية ؟ .

ألم يظهر من أدوار ومراحل الحركة الاستقلالية المصرية ،
خصوصا في هذا الوقت الذي تبيض فيه الدسائس ، ما يؤيد

لسنا محتاجين لكثير من العلم ، وانما لكثير من الاخلاق
سعد زغلول

ان علماء الاخلاق والاجتماع لما قرروا ، النظرية التي نحن بصدد
الكلام عنها ، كانوا على حق فيما ذهبوا اليه ؟

انهم كانوا على حق ! . . . فها أنت في الوقت الذي تسمع فيه
صراخ وصماخ بعض الازهريين المأجورين المشوبين بالاغراض
الرجعية ، تسمع من احدى طالبات الجامعة نداءاً وطنياً حاراً
حلوأ ، يشبه في رخامته أصوات مزامير داود !

اليس هذا أبرز دليل على أن تربية المنزل لما أثرت أنت لنا
بأنسة تتحرق وطنية ! ولما إغقت أنت ببعض أطفال في الازهر
لم يستحوا من أن يكونوا أنسة الجريمة والشغب !

حقاً ان أساس العمران هو اكتمال النظام العائلي ، وان
النهضة المصرية لم تبلغ القمة الا بفضل جهود المرأة وصبرها
على المكاره والمخاطر ، ومشاركتها الرجل في الكفاح من
أجل الوطن .

وحقاً ان « الأنسة » المهذبة المفاضلة التي روت الصحف
المصرية خبر ارتقائها مدرجات الجامعة ، وخطابها في الشبيبة
تستحلفهم بالوطنية والمروءة ونخوة الرجولة ألا يستمعوا الى
داعي التفرقة ونداء الفتنة ، وأن يشدوا أزر مصر في هذه
الظروف التي تحاك فيها الدسائس للانتقاص من سلطنة الامة ،

حقاً ان هذه الآنسة ، قد أقامت بعملها البريء النزيه أسطع
برهان على أن الوطنية الصحيحة والعقلية الناضجة والوجدان
الشريف وما الى هذه الامور التي كانت تنبعث أضواءها من
مساء شبوخ النهضة لمن يتلوهم في مراتب العمر ، قد أفلحت في
خلق شعبية مصرية ناهضة ، بصرف النظر عما يظهر الآن
من جانب بعض صبية الازهر أو ائمتهم الذين دللوا بهذه الحركة
الروحانية المفتعلة ، على أن نفوسهم من النفوس التي يجذب
فيها الخير الانساني وينبت فيها زرع الدسائس والفتن .

ونحمد الله على أن هذه الشرذمة قليلة العدد ، وان الاكثية
للساحقة هي من الشبيبة الناهضة التي ارتشفت روح الوطنية
الصادقة مع الاله ان التي رضعتهما من أمهات الامهات فنشأت
مطهرة من شوائب الاغراض ، وأصبحت ذات وطنية صافية
كماء الغدير وهو يجري بين الفاف الغاب .

وكما أن اشيوخ النورة ، وكلاء الامة ، الفضل في ايجاد
وخلق مثل هذه الشبيبة الفاخرة فللمرأة أيضاً النصيب الاكبر
في هذا ، اذ مما لاشك فيه ، أن المرأة هي أم الشبيبة ، وان

لا أريد أن أكون موضع خوف بل موضع احترام
سعد زغلول

تعاليمها الاولى أكثر الدروس رسوخا في الازهان .

وأم المصريين - حفظها الله - قد ضربت دروسا في البطولة
والجراة تعتبر من الدروس الخالدة والتعاليم التي لا تمحوها يد
التجوير ، تلك الدروس التي يدلك قيمتها ، لا على سفرها إلى
جبل طارق للبقاء فيه بمجوار بعلمها العظيم فحسب ، وإنما في
فتحها « بيت الأمة » خليفة سعد ليرسل منه الصوت داويا
طيلة أيام الجهاد ، في وفود الشعب التي أنت وستأتي لتستمد
من الوعيم الالهام الوطني الذي يرجع اليه الفضل في ارتقاء
مصر مكانة ممتازة بين الامم المستقلة .

ولا شك ان المرأة تكون منتجة ، وذات أثر فعال في
رفق الامم ، لو وجدت زعما صادقا يعاونها في ترجيه الابناء
وجهة برضاها الوطن وانها في كثير من الاحايين تفوق الرجال
في ميادين العراك والنضال ، وتهزأ بأفاعيل الظلم كما حدث
فهزأت أم المصريين من صاحب اليد الحديدية الذي سلب
جنده عليها فاختطفوها من الاسكندرية وأركبوها القطار من
محطة « خورشيد » ؟ وكما هزأت وتهزأ بكل من تحذنه نفسه ،
من جنود الوطن ، بالخروج على الاجماع والتشجيع للرجعية في
خطتها .

الكلمة الختامية

من مجموع ما تقدم لنا من القول ظهر لك بجلاء من هم
أنصار وخصوم الديمقراطية في وادي النيل في العشرين
سنة الماضية التي ابتدأت منذ أن وضعت الحرب العظمى
أوزارها الى هذا اليوم الذي أنعمت فيه كتابة هذه الرسالة .
فلقد رأيت من تصفح هذه الرسالة وجوها وجوها ،
رأيت وجوه أنصار الديمقراطية يقاتلون لتثبيت قواعدها
وتشييد دورها ومعقلها ، ورأيت أيضا وجوه الاعداء يمحكون
أيدي الانصار محاولين إثنائهم عن البناء ، وهدم ماتم تشييده
ولكن الله سبحانه وتعالى أفلح مجهود أنصار الشورى ، وأقر
أعينهم بوجود دار للنبيابة في مصر ، ورد كيد الخصوم . . .
وما دامت دار النبيابة قائمة في مصر ، تلك الدار التي هي قذى
في عيون الرجعيين ، فإن الصراع القائم بين خصوم وأنصار
الديموقراطية هو أشبه بالزوابع التي تهب فوق أديم البحار ،
فيخال الانسان معها أن الدنيا على كف عفريت وأنها ستفقد
التوازن ، وإن النجوم لن تلبث أن تصطدم ببعضها ،
والشمس ستقع من عليائها ، وإن الكون مضطرب ، يتخيل

الانسان هذا النخيل الذى يفارقه بمسرة حينما تهدأ العاصفة
ويسكن البحر من هياجه وتسير السفن سيراً اعتيادياً . لأن
الاصل فى الحياة المكون والهدوء ، أما الازمنة التى تتخلل
فترات اضطرابات وزواجع وعواصف فهى أزمنة غير عادية ،
وكل ما هو غير عادى مآله الزوال !

لقد توصلت مصر بمجهود أبنائها الصادقين الى الحصول على
حكم الشورى ، وأكثر من هذا فانها استنطعت لذة وحلاوة
هذا الحكم ، لا لانه قاعدة دينية أمر الله أولى الامر الاخذ
بها ، وانما لانه يتفق مع الميول الغريزية التى خلقها الله فى الانسان
الاول قبل أن يخلق الاديان .

فهل بعد أن حصلت مصر على حياة الشورى واستنطعت
لذة هذه الحياة ، واعترف للامة بأنها مصدر السلطات ، هل
بعد هذا يستقيم أى جبار كان أن يقول للمصريين : لا ، أتم
غير جديرين بالحياة ، وغير أهل لان تكونوا مصدرأ
للسلطات ؟ .

اذا قيل هذا فسيكون كلام خرافة ، ولن يعبأ أحده به ،
لان الحرية يجب أن تكون مطلوقة للجميع فى حدود قوانينها
التي يجرى نواب الامة سننها ونشريعها ! والمصريون الاحرار

الن يقبل اولي ، بأية حال من الاحوال ، أن يحكموا حكاما قائما على الصلح والكبرياء وتضييم الحقوق الدستورية ؟ .
وخصوصا الديموقراطية ، التي رأى القاري وجوههم
واستبان من هذه الرسالة نوابهم ، يلعبون في خصوصياتهم
للشورى لباسين :

الاول : يكونون فيه سافرين في خصوصياتهم فيعطون الدستور
ويعبتون بالعدالة ، ويحكمون الافواه و . . . من الامور
التي يرى القاري انماها ظاهرة في الايام التي يكونون فيها
في الحكم .

والثاني : يكونون فيه على نمط القديسين الانقياء ، والحاداة
الفقهاء ، يطلقون الله زهدا ، ويطلقون « العبدية » سنة
وورعا ، ويقصرون الشوارب قصما خفيفا ، ويمسكون « السبع »
في أيديهم ليقول الناس فيهم انهم حنابلة الوطنية ، أو من
أنصار المذهب الخامس الاسلامي مذهب الوهابية ، ويتمتمون
بشفاهم زيادة في التقى والورع ؟ والسر في هذا ليخدعون
الناس ، ويدفعون المخدوعين فيهم الى احداث حدث يوصلهم
الى مقاعد الوزارة ، ويجعلهم يتربعون في دس الاحكام حيث
يعودون الى سيرة الظلم الاولى .

يا قوم ان هذا اللباس مفضوح ، وهذه «الدقون» الطويلة
أشبهه «بالدقون» الصناعية التي يستعيرها الممثلون عند حاجتهم
الى تمثيل المواقف ! .

والدليل على هذا ، ان في هذا الوقت الذي ينفضون فيه في
نار الفتنة لكي يسفر الخلف الدستوري القائم بين وزارة
الوفد والسمراى عما يشتهون ، ان في هذا الوقت الذي يقولون
فيه ان الوفد مفتئت على منطبة صاحب الجلالة - أدام الله
عمره - وانه يرغب اغتصاب هذه المنطبة ، انهم يقولون
مالا يبطنون ، فلو كان ثوعمائهم في موضوع هذا الخلف
رأى يشبه في أدق فواحيه رأى الوفد ، وهاهو ننقله لهم
حتى يروا انهم مكابرون : —

قال معالى مبد العزيز فهمى باشا فى جلسة لجنة الدستور
فى ٢٩ اغسطس سنة ١٩٢٢ :

« لقد جعل الدستور الملك مقدسا مع أنه بشر كـكل
البشر - الملك يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق - وله أذن وله

كل أمر يقف فى طريق حرياتنا لا يصح أن نقبله مطلقا مهما
كان مصدره عاليا ومهما كان الأمر به .

معد زغلول

شهورات ولكنه مقدس بحكم الدستور فاذا تركتم بجانب الملك
أفاناسا لهم سياسة وآراء خاصة تخالف سياسة الوزارة يراهم
الملك كل يوم هم كمتبته ، هم أعوانه ، هم خدمه الذين يدخلون
عليه ليل نهار ، هم أكثر من يسمعهم الملك من الامة - وأنا
أتكلم عن الملوكية عامة لا على الملك الحالى لان جلالة ملكنا
حفظه الله رجل قويم الخلق سعاد في مصلحة البلد - وإن كن
من الجائز أن يأتى ملك معالج للوشاية ويكون بجانبه من رجال
بلاطه من بدس الدسائس للوزارة وهو يعلم أن من حق الملك
أن يقبل الوزارة وأن يعين من يخلفها فهل من مصلحة البلد
أن يسقط الملك كل يوم وزارة ويعين غيـرها صملا بنصائح
رجال بلاطه »

وقال دولة على ماهر باشا :

« لم أكن لا فرض ونحن نضم هذا الدستور أن شخصية الملك
مستقلة خصوصاً بعد أن قررنا أن الملك يحكم بواسطة وزرائه
وأن كل أمر للملك يوقعه الوزير المختص ويتحمل مسؤوليته

اننى رجل قد وطنت نفسى على الدفاع عن الحق وأن أتحمّل
فيه كل مكروه ولو كان آتيا من الذين أدافع عنهم
سعد زغلول

ظما ان كنتم ترون اليوم غير هذا وصحح أن يحكم الملك من غير واسطة ونرائه فهذا يكون رجوعا الى حكم الفرد »

هذه هي القاعدة الدستورية التي يجب أن تكون محترمة حتى لا تمس سلطة الامة ، زهدم مبدأ المسؤولية الوزارية ، وهي القاعدة التي جرت على السنة خصوم الديمقراطية في الوقت الذي لم تكن نوايا مصر الانتخابية نوايا معروفة .

فلو أن اللذان قررا سلطة الامة ، في مضابط لجنة الدستور على النحو الذي أتيتهما لها فوق هذا الكلام ، لو أنهما اعتقدا أن نوايا الامة الانتخابية ستكون على النحو الذي برزت فيه في كل الانتخابات الماضية لحبسوا في أنفسهم هذا الرأي الحر ! فخفا ان الحرية يخدمها أعداؤها قبل أنصارها ، سواء بفلمات اللسان أو بالمظالم !

ان الروح التي أودعها الله هذه الامة لا تقوى على مغالبتها
أحكام عرفية ، ولا استبداد محقيد ، ولا قوة قوى ، لان
الاستبداد انها يقيم على الاجسام أما الروح فهي بعيدة عن
متناول يده

سعد زغول

فليحذر الشعب ، فالمسألة لها خبيء ، ووزراء الامة ماوراءها
والليالى حبالى بالمدسائس ، والفتن مازالت تسير بسرعة .

ليحذر الشعب فليس المقصود هو تقرير مبادئ دستورية ،
أو الحرص على حقوق العواد الاعظم ، تلك الحقوق التى يظهرون
أنفسهم فى مظهر الفـيرة عليها ، والحرص على سلامتها ، والتى
هى بريئة منهم !

ليحذر الشعب فالقصد من هذا كله هو خلق متاعب امام
وزارة الامة ليخلو الجو للرجعية ! .

ليحذر الشعب ، وليعلم أنه مقبل على عهد نسأل الله منه
اللطف بحياة الشورى وبحقوق البلاد وبمستقبل الذرارى .

لا يفوتكم أن تحتجوا على كل أمر ترون أن فيه مخالفة
للقانون مهما كان صغيرا فى نظركم ، فربما كان لهذا الامر الصغير
علاقة فى المستقبل بأمر كبير فيتخذ من رضائكم فى هذا
حجة عليكم فى ذلك
سعد زغلول

أيها المصريون

ان النحاس لا يتمسك بالحقوق الدستورية لنفسه ، وانما لكم
ولا عقابكم وذرايكم طبقة بعد طبقة ، فان نصرتموه نصرتم
أنفسكم وبرهنتم على أنكم أهلا للحياة الاستقلالية التامة
« ان تنصروا الله ينصركم وينبت أقدامكم »
أيها المصريون :

ليس لكم بعد الله - جلت قدرته ، اذا ارتطمت سفينة
الحياة الدستورية ، ليس لكم سوى الالتفاف حول خليفة
سعد ، مصطفى النحاس ، الرجل الصادق ، صديق مصر ، بطل
المعاهدة وزوال الامتيازات الاجنبية وانضمام مصر الى عصبة
الامم .

أجل : ليس ثمة طريق سوى الالتفاف حول زعامة
النحاس ، والعمل بمبادئ الوفد ، فان اصطدمت السفينة
وارتطمت بالرجعية فاقبوا ثبات الجبال الرواسي « ولا تهنوا
ولا تحزنوا وأنتم الاثلون ان كنتم مؤمنين » .

القاهرة في ٢٥ - ١٢ - ١٩٣٧

حقوق الطبع محفوظة للـ كاتب

دار الطباعة الحديثة - بمصر

~~321-S~~

~~A76A~~

~~18-1-65~~

~~1 - Feb 71~~

~~1 - JUN 1971~~

أبو شنب، امام شافعي
الديمقراطية في مصر بين الانصار وال

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01014534

